

دور المراقدة في حياة الشعوب

لأية الله الدكتور الشيخ
محمد صادق محمد الكرباسي



إعداد
عبدالحسين الصالحي

بيت العلم للناشرين
بيروت - لبنان



PDF مكتبة نرجس

www.narjes-library.blogspot.com

دور المراقـد في حياة الشعوب

دور المراقد في حياة الشعوب

لآية الله الدكتور
محمد صادق محمد الكرباسي

إعداد
عبد الحسين الصالحي

بيت العلم للناشرين
بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

هل لمراقدا الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين دور في حياة الناس أم لا؟

بالتأكيد لهذه المراقدا دور إيجابي وبنّاء في هذا المجال، فهي لها دور ثقافي .. وديني .. واقتصادي .. وسياسي .. وفني .. وفي البناء والعمران .. كما لها دور سياسي ودور في ترسيخ العلاقات بين الشعوب ..

مهلاً - عزيزي القارئ - فلا يملكك العجب، فإنه لا يحول بينك وبين أن تقتنع بهذا الكلام سوى أن تقرأ هذا الكتاب الذي يتناول بالتفصيل كل دور من هذه الأدوار.

وهذا الكتاب في الحقيقة هو مقدمة كتاب تاريخ المراقدا الجزء الأول، وهو أحد أجزاء دائرة المعارف الحسينية التي فاقت - بحسب علمنا - الخمسمائة والستين جزءاً تأليفاً والتي صدر منها حتى الآن سبعة وعشرون جزءاً.

ونظراً لأهمية الموضوع الذي تبحثه هذه المقدمة المفصلة الوافية قام الباحث الأستاذ عبد الحسين الصالحي باقتطاع هذه المقدمة من كتاب تاريخ المراقدا الأنف الذكر، وتناولها بالدراسة والبحث ووضع عليها بعض التعليقات والهوامش، وطلب منا طباعتها، راجياً عموم الفائدة لكل القراء والباحثين.

ونحن بدورنا في بيت العلم للنابهين تولينا طباعتها
وإصدارها بهذا الشكل لنساهم في تعميم الفائدة من هذا الموضوع
الذي يبحث لأول مرة بهذا التفصيل وبهذا الشكل الدقيق
والموثق. والله نسأل أن يمنّ علينا وعلى جميع المسلمين بالتوفيق
والحمد لله رب العالمين.

٢٨/ شعبان/ ١٤٢٤هـ

٢٤/ تشرين الأول/ ٢٠٠٣م

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثناء لله ما دامت الأرض والسموات قائمة،
والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى وآله النجباء ما دامت
الأنفاس جارية.

وبعد: فإن من القربات الحديث عن خير الآل لخير الورى
وعن تواريخهم، ومنها تواريخ مراقدهم والتي تحدثت عن جانب
منها في تاريخ المراقد التي تخص الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره
الكرام، وهي جزء من أجزاء دائرة المعارف الحسينية، وقد قدمت
لها بمقدمة ضافية، فكانت بمثابة المدخل إلى أصل الموضوع،
فارتأى فضيلة المحقق الماهر وريث العلم الأستاذ عبد الحسين
الصالحى دامت تأييداته إلى استقطاعها عن المراقد، ليعم نفعها
ويسهل تناولها.

أرجو الله تعالى أن يزيد في توفيقاته ويسدد خطاه وخطانا،
وينفع به الناس كما انتفعوا بأصله، إنه جلّ وعلا مجيب للدعاء.

١٤٢٤/٥/٢٣ هـ

٢٠٠٣/٧/٢٣ م

محمد صادق محمد الكرباسي

لندن - المملكة المتحدة

مقدمة المعدر

لقد حفل التاريخ الإسلامي منذ أقدم العصور بموسوعات ضخام ومؤلفات عظام في علوم مختلفة زخرت بها المكاتب العالمية في مختلف الجامعات الدينية والحواضر العلمية على متنوع مشاربها ومواضيعها وأساليبها في التخريج والتنظيم.

وكان نصيب الشيعة في هذا المضمار هو قصب السبق في جميع العلوم والفنون فنرى في القرن الرابع الهجري كتاب [إحصاء العلوم] لأبي نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هجرية وكذلك كتاب [رسائل إخوان الصفاء]^(١) وأيضاً الإخوان الإلهيون^(٢) وغيرهما وقد امتد هذه النهج على يد علمائنا الأعلام خلفاً عن سلف حتى عصرنا هذا وفي القرن الحادي عشر الهجري ألف الأغا رضي القزويني المتوفى سنة ١٠٩٦ هجرية كتابه [لسان الخواص] وفي القرن الثاني عشر الهجري ألف العلامة المجلسي موسوعته [بحار الأنوار] وهو دائرة المعارف لأحاديث الشيعة

(١) السيد حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ٢ ص ٢٣٦ بيروت الطبعة الخامسة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) عبد الحسين الصالحي: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ٢ ص ٢٤٥ بيروت الطبعة الخامسة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

وكذلك كتاب [الأسفار] للفيلسوف الشهير صدر المتألهين الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥٠ هجرية التي عاشت مدرسته حتى عصر النهضة الحديث والحضارة الأوروبية، وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر قاد المؤسس المجدد الآغا باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ هجرية نهضة فكرية عظيمة في جامعة كربلاء المقدسة وتمكن من تربية كوكبة عظيمة من شيوخ الاجتهاد وأساطين الدين وقام تلامذته بتدوين الفقه الموسوعي منهم السيد جواد العاملي (١١٦٠ - ١٢٢٦ هجرية) ألف موسوعته [مفتاح الكرامة] المطبوع مكرراً وعمي الشهيد الشيخ محمد تقي البرغاني المعروف بالشهيد الثالث المستشهد في سنة ١٢٦٣ هجرية صاحب موسوعة [منهج الاجتهاد] في ٢٤ مجلداً ضخماً وشقيقه الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ هجرية وكتاب غنيمة المعاد والذي حققته في ثلاثين مجلداً طبع منها حتى اليوم ثمانية مجلدات^(١) تحت عنوان [موسوعة البرغاني في فقه الشيعة] وكتاب كنز العرفان في ٢٧ مجلداً كبيراً ودائرة المعارف في علوم القرآن والشيخ محمد حسن النجفي الأصفهاني المتوفى سنة ١٢٦٦ هجرية صاحب موسوعة [الجواهر] المطبوع مكرراً، وغيرهم من الأفاضل، وقد فصل عن تراثهم وتراجمهم شيخنا الأستاذ الشيخ الآغا بزرك الطهراني في موسوعته الخالدة الذريعة والطبقات وتعرض لآثارهم ومآثرهم في القرن الثالث عشر في كتابه [الكرام

(١) عبد الحسين الصالحي: تفسير وتفسير شيعة فارسي ص ٢٧٢ قزوين منشورات حديث امروز سنة ١٣٨١ هـ.ش.

البررة]، وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري أبدع السيد حامد حسين الكنتوري (١٢٤٦ - ١٣٠٦ هجرية) بموسوعته [عبارات الأنوار] ثم تليها موسوعة [أعيان الشيعة] للسيد محسن الأمين (١٢٨٢ - ١٣٧١ هجرية) وموسوعة [الذريعة إلى تصانيف الشيعة] لشيخ العلماء شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هجرية) وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري شمر عن ساعد الجد في هذا الحقل الشاق والمرهق والعمل الجبار سماحة البحاثة آية الله الدكتور الشيخ محمد صادق الكرباسي دام ظله وترجع معرفتي الشخصية به وببيته العريق في العلم والزعامة منذ الصبا حيث كنا من مواليد كربلاء المقدسة ومن طلاب المدرسة الهندية التي كانت من أكبر المعاهد العلمية آنذاك في الحائر الشريف، وتخرج منها عدد كبير من عمالقة العلم والتحقيق والبحث والتأليف والجهاد والمرجعية أمثال آية الله الشيخ محمد رضا الأصفهاني الحائري، والسيد أسد الله الأصفهاني الذي كان مرجعاً في الأهواز، وسيدنا الأستاذ السيد محمد الشيرازي وشقيقه الشهيد السيد حسن الشيرازي والشيخ هادي معرفت الموسوعي المعاصر في علوم القرآن الكريم ولا نريد أن نستقصي أسماء شخصيات هذه المدرسة الذين عاصرناهم فإن ذلك يؤدي بنا إلى أن نخرج عن حدود الدراسة التي نحن بصددتها ويكفي القارئ أن يلمس سعة هذه المدرسة وضخامتها وما نبغ منها من العلماء الأعلام وكنت أنا مع سماحته من طلاب هذه المدرسة العملاقة ثم توثقت صلتنا معه في حجرة عميد المدرسة ومدرسها الأول آية الله شيخ العلماء شيخنا الأستاذ الشيخ جعفر الرشتي الحائري (١٣٠٢ - ١٣٩٧ هجرية) وكان الشيخ الكرباسي منذ أوائل شبابه

جيد الإنتباه شديد الذكاء حاد الذهن دقيق النظر عميق الفكر وقد عاشرته سنيناً فوجدته حسن العشرة فكه الحديث عفيف الروح دمث الأخلاق كريم النفس صافي النية واسع الإطلاع مع تمسك بالدين، وقد اختلط برجال العلم وزعماء الدين وأساطين الاجتهاد من العرب والعجم وكان والده عميد الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة واشترك سماحته في نوادي كربلاء وحلباتها وهو يحضر المآتم الحسينية ولا يمكن لأحد أن يلمس جو كربلاء وجو عاشوراء في الحائر الشريف والمواكب والبكاء والدموع تسيل، إلا من عاش فيها فكيف بمن ولد فيها فإن عاطفة الحماسة والحزن في قلبه متغلغلة وهو شاب فساعدت تلك العوامل مجتمعة على تكوين شخصيته فنهض سماحته بالتأليف في هذا المضمار بأكبر موسوعة في مناقب أبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام والتي لم يكتب من صدر الإسلام حتى يومنا هذا مثلها. فإن ثورة الحسين عليه السلام كانت لها منزلة عظيمة في نفوس المسلمين وركناً هاماً في يقظة عامة الشعوب الإسلامية ومن أهم النتائج التي تصل إليها هذه الموسوعة النادرة أنه يقلب صورة العلاقة التاريخية بين القدماء رأساً على عقب فبعد أن كان الباحثون الذين زيفوا تاريخ تلك الفترة لخدمة مصالح سياسية أو قبلية ضيقة حيث كان تاريخنا يحزر بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، وكما لم تنج من النظرات الضيقة والأهواء المضمرة والانحياز المذهبي والغرض الطائفي فطمست معالم الكثير من هذه النهضة الجبارة وقد جاءت فكرة إصدار الموسوعة الحسينية لتلبي حاجة الدارسين والباحثين والمؤرخين وتوفر عليهم في هذا الموضوع فقد شمر سماحته عن ساعد الجد في هذا الحقل ووفقه

الله تعالى لإنجاز هذا المشروع العظيم الذي تجاوز عدد مجلداته ٦٠٠ مجلد ونزل منه إلى الأسواق والمكتبات العامة والخاصة حتى اليوم نحو ثلاثين مجلداً والباقي تحت الطبع وحاز شهرة واسعة وصيتاً عالياً وقد اطلعت لأول مرة على نبأ هذه الموسوعة في المحافل العلمية والنادي الأدبية في كل من إيران وسوريا ولبنان وكانت تعتريني الدهشة وتشملني الحسرة لمشاهدة بعض مجلداته حتى أخبرني أحد الأصدقاء وأنا في دمشق أن هناك بعض مجلداته في مكتبة الحوزة العلمية الزينية في السيدة زينب عليها السلام وذهبت مشتاقاً إلى المكتبة وشاهدت المجلد الأول من الدواوين وبعد عودتي إلى إيران كنت مشتاقاً للاتصال بسماحته وقد فاتني في حينه أن أدون عنوانه من ظهر المجلدات المطبوعة إلى أن كنت مشغولاً في مكتبي بقزوين بالتأليف وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وإذا جرس الهاتف يرن رفعت السماعه وقلت تفضل، وإذا بسماحة الشيخ الكرباسي عندها فرحت وأخبرني عن تفصيل مشروعه ثم أعلنت عن اشتياقي للعمل معه وتقديم أي مساعدة يطلبها مني ثم اتحفني بما صدر من الأجزاء، بحق إنها أعظم موسوعة عرفها التاريخ وقد أصبحت أنا شخصياً من روادها والمتلهف إلى مطالعة أجزائها من البداية وحتى النهاية حيث امتازت بأسلوبها الشيق وموضوعاتها المتنوعة وقد لاحظت خلال مطالعتي لما صدر منها أنّ المقدمات التي صدر بها كل مدخل من أبواب موسوعته العلمي تتسم أسلوب علمي موضوعي يمهّد للقارئ الموضوع الذي يود أن يبحثه بشكل يغنيه عن العديد من المجلدات ويسعفه بكثير من التوضيحات التي من الضرورة بمكان حيث لا يترك الموضوع المبحوث مبتوراً مما يعطيه طراوة

وأرضية مناسبة للاستيعاب وهذا النوع من المقدمات التمهيدية كان قد استخدمه قدامى الفلاسفة وكبار العلماء في مصنفاتهم بل وحتى في محاضراتهم مما يخلق للطلاب الاستعداد الكافي أو الملائم للتعلم في هذا الموضوع أو ذاك وبذلك يكون البحث قد أعطى ثماره ويمكن للقارئ أو الباحث أن يجتني منه ما يفيد أو يستسيغه بأريحية المحقق والدارس.

ومن هنا فقد لفت انتباهي من بين المقدمات التمهيدية التي قرأتها بإمعان مقدمة تاريخ المراقد التي بحث فيها المؤلف الخبير جوانب مختلفة تتعلق بالمراقد وكان أهمها هو بحثه عن دور هذه المراقد في حياة الشعوب بمختلف تأثيراتها مما لم أجد من كتب عنها حسب اطلاعي، مع العلم لقد سبق لي وكتبت في [دائرة المعارف تشيع] الفارسية عن المراقد الشيعية في فصلين تحت عنوان [آستانة وبقعه]^(١) رغم أن المؤلف الجليل ألزم نفسه بالإيجاز لأنه أودع مثل هذا الموضوع في مقدمة ما هو أوسع من ذلك فلذلك جاءت هذه المقدمة التمهيدية كغيرها من المقدمات الأخرى وجيزة إلا أنها وافية بالغرض مما زادها أهمية فهي تجنب القارئ عناء البحث، وهذا يدن العلماء إذ أنهم يوجزون الكلمة لكنهم يرصون الكلمات وهو من الأدب الذي اختصوا به إذ لا يفضلون الإسهاب ولا يحبذون المواضيع البتراء وهذا ما هو ملاحظ على سبيل المثال في كتاب الصمدية في النحو للشيخ البهائي العاملي (٩٥٣ - ١٠٣٠ هجرية) وكتاب التجريد في الكلام

(١) انظر دائرة المعارف تشيع الفارسية ج ١ ص ٥٦ - ١١٣ وج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٨١ طهران الطبعة الأولى.

لخواجه نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هجرية) والتبصرة في
الفقه للعلامة الحلبي (٦٤٨ - ٧٢٦ هجرية) والمنظومة في الفلسفة
للحكيم المتأله الملا هادي السبزواري (١٢١٢ - ١٢٨٩ هجرية)
وكتاب الكفاية في الأصول لأبي الأحرار الآخوند ملا محمد
كاظم الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩ هجرية) قدس الله ثراهم ورضي
عنهم وأرضاهم حيث انتهجوا هذا النهج ودأبوا على الكتابة على
هذا النحو ولم يعزب مؤلفنا الفذ عن هذا النهج الذي يبدو أنه
أخذه كابراً عن كابر حيث إنه يعتبر من أشهر الأسر العلمية
وخزائنهم حافلة بنتائج أعلامهم في فنون مختلفة وكان آباؤه جميعاً
من أعلام الطائفة وأساطين الأمة وزعماء الدين وينتهي نسبة
الشريف إلى مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه صاحب أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبما أنني أنستُ بهذه المقدمة، فخطر على بالي أن أقوم
بفرزها عن الأصل أعني بذلك هذه المقدمة لما فيها من مقومات
تصلح لأن تكون مصنفات في موضوعه حيث وجدت أن عامة القراء
لا يمكنهم إقتناء الموسوعة بكاملها فلذلك قمت باستشارة سماحة
المؤلف حفظه الله فترك الأمر لي وقد أشار علي بأن أعلق على ما
أجده مناسباً بل واقترح عليّ أن أنقد متى وجدت للنقد مجالاً،
ولكنني بحق لم أجد ما يمكن أن أنقده ولكنني قمت بشرح أو
توضيح ما احتاج إلى ذلك كما طلبت منه حفظه الله أن يرسل لي
التصحیحات التي طالما اشتكى منها حيث ذكر لي على سبيل
المثال أن سطرأ كاملاً من هذه المقدمة قد سقط من الأصل بفعل
عدم اهتمام المؤسسة التي تولت تنضيد الكتاب إلى جانب بعض
الأخطاء المطبعية التي أصبحت رفيق سوء - ومع كل الأسف

للكتاب - والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى أمرين: الأول أن المنضد لم يعد في يومنا هذا من أرباب الثقافة كما كان في السابق حيث كان أصحاب المطابع من ذوي الخبرة ومن المثقفين.

والثاني أنهم لم يكونوا على قدر من المسؤولية فهم لا يشعرون بالذنب تجاه عدم اهتمامهم بالكتاب وما يحويه من أخطاء بسبب اللامبالاة، بل انصب همهم في كيفية الحصول على المادة، ولا شك في أن تصحيح الكتب وتحقيقها وتدقيقها من أشق وأصعب الأعمال وأكبرها تعباً وفي عام ١٤١٢ هجرية قمت بتحقيق الديات لعمي الشهيد وذلك حسب ما أوعدته غير واحد من مسؤولي الجمهورية الإسلامية في إيران لتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء وقد رأيت هناك حاجة ملحة في المحاكم الإيرانية لقانون الجرائم على الجسم وفي ذي الحجة سنة ١٤١٤ هجرية سلمت كتاب الديات إلى منشورات [بحر العلوم] القزوينية لطبعه وعلى أثر إهماله ضيع الكتاب وبعد مضي حوالى تسع سنوات قمت من جديد بتحقيقه وصدر إلى الأسواق منذ عهد قريب.

وعلى أي حال فقد زودني المؤلف دام بقاؤه بالتصحیحات وقمت بمطالعة المقدمة التمهيدية لتاريخ المراقدة وأعدته للطباعة وكنت في البداية متردداً في وضع النماذج من الصور التي انتقاها المؤلف دام عزه بألوانها أو اكتفي باللون الأسود والأبيض فوجدت أن الأخير أوفر للقارئ ومن أراد رؤيتها ملونة فليقصد الموسوعة حيث طبعت الصور بالألوان.

ومن الجدير بيانه أن هذا الباب يشكل أحد أبواب

الموسوعة الحسينية الرئيسية والتي تجاوزت أعدادها العشرة وقد خصصت بتاريخ وتطور المباني والإنشاءات المرتبطة بسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار وأنصاره الكرام ممن حضروا كربلاء وشاركوا في نصره ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في نهضته العملاقة من رجال ونساء وكبار وصغار أو المقامات المنسوبة إليهم وقد قام المؤلف الجليل بتوثيق بعضها وتفنيد بعضها الآخر حسب المعطيات العلمية.

ولا ننسى أهمية هذه المراقد المطهرة والعتبات المقدسة من الناحية السياسية والاجتماعية في مواسم الزيارات حيث يجتمع المسلمون عامة والشيعة خاصة في مواسم خاصة لزيارة أئمة الهدى فنرى بعد واقعة الطف الخالدة لقد اختارت رباب بنت امرئ القيس ضريح زوجها أبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام لتشكو مظالم بني أمية إلى الوافدين والزائرين إلى كربلاء المقدسة فبقيت سنة كاملة في الحائر الشريف^(١) وكانت تقضي أيامها بالخطابات الحماسية والحزن واللطم وأقامت المآتم وكما اختار أبو العباس السفاح كربلاء المقدسة ومقر الإمام الحسين عليه السلام مقراً لرسم خططه والاجتماع بشيوخ القبائل وتحريضهم على الثورة ضد الأمويين حتى استطاع بمؤازرة أبي مسلم الخراساني الشيعي الشهير بتأسيس دولة العباسيين تحت ستار الراية العلوية وجلس على سرير الخلافة سنة ١٣٢ هجرية وقد فصلت عن هذه الاجتماعات في كتابي [كربلاء في حاضرها

(١) عبد الحسين الصالحي: دائرة المعارف تشيع الفارسية ج ٨ ص ١٣٠ طهران الطبعة الأولى.

وماضيها] وفي القرن الأخير كان أكبر اجتماع في ليلة نصف شهر شعبان سنة ١٣٣٨ هجرية إحدى المناسبات الشيعية في كربلاء المقدسة في دار زعيم الثورة العراقية الكبرى الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي من علماء وزعماء ورؤساء قبائل الشيعة في العراق وعرضوا على سماحته بتلك الجلسة نواياهم وتعهدوا له بأن فيهم القوة الكاملة لصد العدوان الإنكليزي واستفتوه في القيام ضد السلطة راغبين بأن تكون فتواه بدو الشروع في الثورة وقد أصدر سماحته تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق واقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس وقد أرخ المؤرخون وأرباب الفضل هذه الحوادث بالتفصيل في كتب مستقلة وذكرته في كتابي كربلاء في حاضرها وماضيها وإذا أردنا أن نستقصي أهمية هذه الاجتماعات في مواسم الزيارات وانطلاق الثورات وعطاء التراث الفكري الزاخر التي انبثقت من العتبات المقدسة فإن ذلك يؤدي بنا إلى أن نخرج عن حدود الدراسة التي نحن بصددتها فإن الوثائق التاريخية تثبت لنا أن العتبات المقدسة في الحجاز والعراق وإيران هو خير ملجأ للأحرار في العالم الإسلامي والاتصال سرّاً تحت ستار الزيارات والمواسم الخاصة وتوحيد صفوفهم ضد الاستعمار الحديث والعولمة العالمية المعاصرة والقضية الفلسطينية ولا ننسى أننا نمر هذه الأيام بمحنة أخوتنا في فلسطين ومقاومتهم دفاعاً عن وطنهم ضد الصهاينة المعتدين ونقول مع أنفسنا [يا ليتنا كنا معكم] وحين نسمع بالمجازر الشارونية الصهيونية من القتل والخراب نقول: [إنا لله وإنا إليه راجعون] وهو أضعف الإيمان لذا نقترح بأن الوقت قد حان للقدس الشريف بل وسائر المقدسات الإسلامية في العالم والمراقدة

المطهرة أن تكون تحت إشراف هيئة إسلامية عليا يشارك فيها جميع الطيف المذهبي بصورة مستقلة وما هذه المقدمة التي كتبها سماحته إلا دليل على ما اقترحنه حيث إن دورها عظيم تمكن سماحته من إيجازه بهذا الشكل فله دره وعليه سبحانه أجره، ولعلي بذلك أكون قد أسهمت في إحياء بعض ما ألفه سماحته من تراث فكري نافع في هذا المجال على قدر ما اتسع له جهدي وحسبي ممن يطلع على هذا العمل ويرتضيه أن يدعو لي دعوة صالحة أما من يرى فيه شيئاً من القصور أو التقصير فأرجو أن يلتمس العذر ويدعو لي وللمؤلف بالمغفرة فإن العصمة لله وحده.

وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب ما أعددناه في حسناتنا ويجعله ذخراً لنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وادعوه جل وعلا أن يجعله نافعاً كما جعل الموسوعة المسماة بـ [دائرة المعارف الحسينية] إنه سبحانه مجيب للدعاء.

حرره بيميناه الدائرة العبد الفاني أوج خلق الله

إلى عفو ربه الغني عبد الحسين الصالحي آل الشهيد الثالث

عفى عنه وغفر الله لوالديه

حامداً مصلياً مستغفراً إلى الله

قزوين يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني ١٤٢٤هـ

الموافق ٦/يونيو/٢٠٠٣هـ

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن هذه المقدمة التمهيدية وضعت لتاريخ المراقد والذي سيتم البحث فيه كالتالي^(١):

أولاً: إن هذا الباب لا يقتصر على تاريخ المرقد الحسيني الشريف بل سيبحث حول كل المراقد التي لها ارتباط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته^(٢) المباركة وهي على أقسام:

أ - مراقد أنصاره^(٣) الذين استشهدوا معه في معركة الكرامة

(١) بما أن هذه المقدمة انتزعت من تاريخ المراقد من دائرة المعارف الحسينية فإن المؤلف ذكر باختصار ما يحتويه هذا الباب وتحدث أيضاً عن أسلوب عمله فيه - المعد.

(٢) النهضة: من الملاحظ أن المؤلف يصر على استخدام كلمة «النهضة» في جميع موسوعته الخالدة بدلاً من مفردات أخرى كالثورة مثلاً «والانتفاضة لأنه كما صرح في غير مورد من موسوعته بأن النهضة هي الأنسب مع ما قام به الإمام الحسين عليه السلام على تفصيل أورده في باب قاموس النهضة الحسينية - المعد.

(٣) الأنصار: خيّر المؤلف بين مفردة الأنصار، ومفردة الأصحاب، فاستخدم الأول بالذين حضروا كربلاء. شاركوا بحضورهم المعركة، بينما استخدم الثانية في الذين كانوا على تماس معه في مجمل حياته شأنهم شأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله الذين التقوا به، كما ميز بين الصحابي والراوي على تفصيل مر في باب معجم الأنصار من هذه الموسوعة - المعد.

في كربلاء كأبي الفضل العباس عليه السلام وحبيب بن مظاهر الأسدي والحر بن يزيد الرياحي وأمثالهم.

ب - مراقد الذين شاركوا الإمام عليه السلام في نهضته وحضروا معركة كربلاء كالسيدة زينب عليها السلام.

ج - مراقد من كان لهم دور في نهضة الإمام الحسين عليه السلام كمسلم ابن عقيل وهانيء بن عروة.

د - مدفن بعض أعضاء أجساد شهداء كربلاء كمدفن الرأس الشريف - الإمام الحسين عليه السلام - وما وقع فيه من خلاف.

هـ - المقامات التي لها ارتباط بالإمام عليه السلام - ونهضته المباركة كمكان لقائه بابن سعد ومقام السيدة زينب عليها السلام أو غيرهما.

و - الأماكن الأثرية التي ترتبط بالإمام عليه السلام كمكان ولادته ومسكنه وأمثالهما.

ثانياً: لا يقتصر البحث على مجرد بيان تاريخ إنشاء المرقد بل يشمل البحث التحقق من صحة انتساب هذا المرقد أو ذاك إلى صاحبه وما يتعلق به من ملابسات.

ثالثاً: هناك محاولة لدراسة كل مرقد - وبالأخص الحسيني منه - بما يكتنفه من معالم أثرية وتاريخية وسياسية وما يحتويه من نشاطات ومشاريع وما إلى ذلك.

رابعاً: لقد مهدنا للبحث ببيان موجز عن مدى تأثير هذه

المراقد في المجتمعات المحيطة بها ومدى إشعاع هذه المراقد وتأثيراتها المختلفة^(١).

خامساً: حاولنا أن نرفق بكل مرقد جدولاً إحصائياً بالقيمين على هذه المراقد وعدد الزائرين ونوعياتهم.

سادساً: وضعنا جدولاً بملوك ورؤساء الدول الإسلامية الذين كان لهم الدور المؤثر في إحياء هذه المراقد أو طمس معالمها.

(١) هذا المقطع هو الذي آثرنا فصله عن أصل الكتاب «تاريخ المراقد» - المعد.

المرقد والمقام

لقد كتب عدد من المؤلفين حول المراقد المقدسة كتباً وتحدثوا فيها عن قبور العلويين أو الصحابة مثلاً وتركوا الأماكن التي تنسب إلى الأولياء^(١) والتي يصطلح عليها بالمقامات، وقد ألحق البعض المقامات بالمراقد ولازال هذا الأسلوب متبعاً. وهنا لا بد من بيان الفرق بينهما: وهو انهما مفردتان قد تنوب إحداهما عن الأخرى على سبيل المجاز، ولكن لكل مفردة معنى لغوياً يختلف عن الآخر وإن اشترك اللفظان في كونهما ظرف مكان أو زمان، وقد سبق بيانهما في محله^(٢)، فالمرقد هنا هو اسم مكان من الرقاد وهو النوم^(٣) والضجوع والسكون باعتبار أن الميت يوضع - عادةً - على جنبه في القبر^(٤) أي يضجع فقليل له

(١) الأولياء: اصطلح على استخدام كلمة «الولي» في هذه المواضع على الصالحين من الأمة المرحومة كالعلماء والزهاد وذوي الشأن الأخلاقي والتربوي من الأمة المرحومة - المعد.

(٢) راجع قاموس النهضة الحسينية مادة المرقد ومادة المقام من هذه الموسوعة.

(٣) راجع مقدمة باب الرؤيا، مشاهدات وتأويل في البحث عن النوم والأسماء المرادفة له.

(٤) من الفروض الدينية أن يضجع الميت في القبر على جهته اليمنى متوجهاً بوجهه نحو القبلة.

راقِد وضاجِع ويسمى مكان رِقودِه وضجعتِه بالمرقد، والجمع مراقِد.

وأما المَقام بالفتح فهو أيضاً اسم مكان من الإقامة وهو المكث، فمن مكث في مكان برهة أو مدة طويلة سَمِيَ ذلك المكان مقاماً له، والجمع منه مقامات ويطلق في الغالب على أماكن تواجد الأنبياء والأئمة والأولياء كمقام أمير المؤمنين علي عليه السلام والنبي نوح عليه السلام في مسجد الكوفة أو مقام الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام في كربلاء المقدسة، وهناك من يطلق اسم المقام على المرقِد باعتبار مجازي حيث أن صاحبه أقام بذلك المكان بالدفن فيه ومنهم من يطلقها جهلاً، وإذا ما عنون الكتاب بالمرقاد فإنه يشمل المقامات أيضاً بالغلبة أولاً، وبما تُعورِف عليه لدى المؤلفين الكرام ثانياً، والذي نريد قوله هو أننا اتبعنا سلفنا الصالح في التسمية لجهات عدة، أهمها غلبة المراقِد على المقامات، ولذلك فإن القارئ الكريم سيجد عدداً من المقامات إلى جانب المراقِد.

المراقد

إن محور المراكد المقدسة للهاشميين كل الهاشميين، هو مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام حيث إنه يقع في قلب العالم الإسلامي، ولقد أصبح بعد الحرمين الشريفين والغري مركزاً دينياً جديداً جاثياً ما بين ضفة الفرات وحافة الصحراء على مفترق الطرق من العالم القديم ليمد أنوار النبوة المشعة من المدينة المنورة إلى بقية أقطار العالم الإسلامي من بلدان الهلال الخصيب^(١) وإيران والهند وقفقازيا^(٢) وتركستان^(٣) والصين

-
- (١) الهلال الخصيب: تسمية كانت تطلق على العراق وبلاد الشام التي تشمل سورية ولبنان وفلسطين وربما أضيف إليها الأردن.
- (٢) قفقازيا: أو بلاد القوقاس اسم يطلق على جمهوريات أرمينيا وجورجيا وأذربيجان.
- (٣) تركستان: منطقة في آسيا الوسطى بين سيبيريا وبحر قزوين وإيران وأفغانستان والهند ومنغوليا، وقديماً كان يطلق على جميع بلاد الترك وبلاد ما وراء النهر، وهي منقسمة بين الصين والإتحاد السوفياتي (السابق) دخلها المسلمون ابتداء من عام ١٣٥هـ والقسم الصيني يؤلف مقاطعة سين كيانغ، إستقل قسم من جمهورياتها عن روسيا بعد سقوط الإتحاد السوفياتي مثل أوزبكستان وتاجيكستان وغيرها.

وغيرها، وجعلت كربلاء المقدسة وبيت الله الحرام في مصاف واحد يدركها من لم يستطع إدراك حرم الله الأقدس.

لقد خطى الحائر بعد تلك المحن خطوة أوسع من ذي قبل في الإتجاه نحو أقطار الشرق الأقصى، فجثا حرم الإمام الرضا عليه السلام على أبواب الهند في خراسان ليعث بهذا النور في الإتجاهات المختلفة الأخرى من مصدره في المدينة المنورة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة فضربت هاشم^(١) قبابها الشامخة المشعة في انحاء المعمورة في الحجاز^(٢) وعلى ضفة الفرات^(٣)، ودجلة^(٤)، والنيل^(٥) والبحر الأبيض المتوسط^(٦)،

(١) هاشم: أريد به جد الرسول ﷺ، ولكن أطلقه المؤلف على آل هاشم من باب أن هاشم أصبح اسماً للبيت الهاشمي - المعد.

(٢) مرقد الرسول الأعظم ﷺ في المدينة المنورة وابنته الزهراء عليها السلام والأئمة الأطهار الحسن والسجاد والباقر والصادق عليهم السلام، إضافة إلى قبور الآخرين من بني هاشم في مكة والمدينة وسائر مناطق الحجاز.

(٣) مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، ومرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وسائر المراقد المقدسة لآل أبي طالب كمسلم بن عقيل في الكوفة، وأولاده في المسيب وأمثالهم.

(٤) مرقد الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام بالكاظمة المشرفة ومرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام في سامراء المشرفة، إضافة إلى غيرها من مراقد أحفادهم من آل أبي طالب.

(٥) كجامع رأس الحسين عليه السلام ومرقد السيدة زينب عليها السلام في القاهرة، وغيرها من مراقد أهل البيت عليهم السلام.

(٦) كجامع رأس الحسين عليه السلام بعسقلان في فلسطين ومشهد النقطة والشيخ محسن في حلب وغيرها من المراقد التي أنشئت بأسمائهم.

وعلى ضفاف بردى في الشام^(١)، وفي خراسان^(٢)، والهند^(٣)، والصين^(٤)، وغيرها^(٥)، وبقيت أمية الطاغية مطمورة مخذولة وملعونة منكودة كما عرفت وعهدت.

يقول الباشا^(٦): «لم يستطع الأمويون الحيلولة دون إنتشار التشيع ولعل الكثرة الغريبة من مشاهد أهل البيت عليهم السلام دلالة واضحة على ما نذهب إليه»، وأما ابن جبير^(٧) فيذكر بعض مشاهد أهل البيت عليهم السلام فيصف المشهد المنسوب إلى أم كلثوم قائلاً: ويقع هذا المشهد على بعد فرسخ من قرية تدعى راوية^(٨)، وقد بني عليه مسجد كبير، وذكر منها أيضاً مسجداً لسكينة بنت الحسين عليها السلام وقيل إنه لسكينة أخرى من أهل البيت^(٩)، وذكر أنه

-
- (١) مرقد السيدة زينب عليها السلام، والسيدة رقية ومراقد رؤوس شهداء كربلاء، وغيرها من المقامات والمراقد كالسيدة سكينة والسيدة فاطمة والسيدة أم كلثوم عليهن السلام.
 - (٢) مرقد الإمام الرضا عليه السلام وغيره من مراقد أهل البيت المنتشرة في أنحاء إيران.
 - (٣) هناك أماكن شيدت بأسماء الأئمة عليهم السلام كما في لاهور وغيرها.
 - (٤) ففي شمال الصين قبور للعلويين من أئمة الشيعة وملوكهم، راجع كتاب الشيعة وفتحها الدول النسطورية في آسيا الوسطى تأليف المستشرق الفرنسي أبلدشة، الذي عرّبه الدكتور عبد الجواد الكليدار، إلا أنه لم ير النور بعد.
 - (٥) هناك مقامات ومشاهد وأماكن شيدت في أنحاء العالم بأسماء آل الرسول عليهم السلام.
 - (٦) الباشا: هو الدكتور عمر بن موسى كاتب مصري معاصر له كتاب أدب الدول المتتابعة.
 - (٧) ابن جبير: هو محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي المتوفى عام ٦١٤ هـ صاحب الرحلة المشهورة.
 - (٨) راوية: والان تعرف بحي السيدة زينب عليها السلام في ضاحية دمشق.
 - (٩) وظهر أخيراً مرقد آخر في منطقة داريا بدمشق ينسب إلى ابنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد بحث المؤلف عن هذا المرقد وهذه النسبة في المقدمة التمهيدية لمعجم الأنصار - قسم النساء - من هذه الموسوعة الخالدة - المعد.

توجد مقبرة خاصة بقبورهم تقع غربي البلد وفيها مسجد ضم
قبرين لاثنين من ولد الحسن والحسين عليهما السلام ^(١).

(١) أدب الدول المتتابعة للدكتور عمر بن موسى باشا: ٩٥، عن رحلة ابن جبير:
٢٢٩.

بناء المراقر وقرسيتهما

تدور في بعض الأوساط الدينية شبهات مختلفة حول بناء مراقد أهل البيت عليهم السلام وزيارتهم والتسليم عليهم وذلك لصدور بعض الروايات التي لا تنهض قبال الأدلة القاطعة والروايات الصحيحة التي وردت في هذا المجال من الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام والتي تحث المؤمنين على تعمير قبورهم بل تعتبره من القربات التي يقدمها المرء بين يدي ربه سبحانه وتعالى مما جعل الفقهاء يحملون تلك الروايات الناهية عن تعمير القبور على قبور غير الأنبياء والأئمة والأولياء، ومن تلك ما رواه أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول ﷺ في حديث طويل يقول: «يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود^(١) على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما

(١) سليمان: هو النبي سليمان بن داود الحكيم قام بأعباء النبوة والحكم بعد أبيه أربعين سنة وقد عاش اثنين وخمسين سنة، وقام بتشييد بيت المقدس في أثناء فترة حكمه ثم بنى لنفسه بيتاً سمي فيما بعد بكنيسة القيامة، ويقال إنه توفي عام ١٦٠٧ ق. هـ (٩٣٥ ق. م).

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة^(١) من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا أنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي^(٢).

ومنها ما رواه الإمام زين العابدين عليه السلام عن عمته زينب عليها السلام عن أم أيمن^(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومدفنه إلى أن يقول: «ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار ولم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز»^(٤) وقد فصلنا القول عن هذا في محله^(٥).

وأما مسألة زيارتهم والتسليم عليهم فقد تواتر استحبابها بل ورد الحديث في أن تركها يوجب الجفاء المنهي عنه، والروايات

(١) الحثالة: والحُثَال ما يسقط من قشر الشعير أو الأرز - إلى آخره - «وَحُثَالَة الدهن» ثفلُهُ، والناس رُذَالَتُهُم.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٤ عن تهذيب الأحكام: ٢٢/٦، فرحة الغري: ٦٣، ولا يخفى أنها مروية بطرق مختلفة، راجع مستدرک وسائل الشيعة: ١٠/٢١٤.

(٣) أم أيمن: يقال إن اسمها بركة تزوجت أولاً من عبيد الحبشي فأولدت له أيمن ثم تزوجت من بعده زيد بن حارثة، فأولدت له أسامة، صحابية جلييلة روت عن الرسول صلى الله عليه وآله هاجرت الهجرةتين وكانت مولاة لعبد الملك بن عبد المطلب فصارت للنبي صلى الله عليه وآله، ماتت في عهد عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ).

(٤) مستدرک وسائل الشيعة: ٢١٦/١٠ عن كامل الزيارات: ٢٦٥، وروي بطريق آخر كما في الهداية: ٤٤.

(٥) راجع باب الشبهات من هذه الموسوعة، فصل بناء المراقد.

في هذا الباب بلغت حد التواتر، وقد أُلّف جمع من العلماء كتباً خاصةً بذلك^(١) ولقد بحثنا ذلك بإسهاب^(٢) فلا نعيد الكرة هنا.

وأما مسألة الإستشفاء بالتربة الحسينية فأمر مفروغ منه حيث أجمع علماء الإمامية على جواز ذلك بل على استحبابه إستناداً إلى مجموعة من الروايات الصحيحة وخصصوا فصلاً من فصول كتبهم الفقهية لذلك، وقد ناقشنا المسألة من الناحية الشرعية على مستوى المذاهب الإسلامية القائمة كما ناقشناها من الناحية العلمية في محله^(٣).

أما الكلام عن تقبيل العتبة والضريح أو السجود أمام عتبة الرسول ﷺ ومراقد أهل بيته ﷺ فقد فصلنا القول عنها في محلها أيضاً.

ولا يخفى أن الشبهة لم تنشأ إلاّ عن سوء التعبير، أو غرض التشويه وإلاّ فما من مؤمن إلاّ ويعرف أن السجود لغير الله لا يجوز دون أي ترديد، وإن التبرك^(٤) بهذه المراقد وتعظيمها لم

(١) منها نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين للاصطهباناتي، فضل زيارة الحسين ﷺ للشجري، راجع باب معجم المصنفات الحسينية من هذه الموسوعة.

(٢) راجع باب الأحاديث فصل حديث الزيارة من هذه الموسوعة، وباب الشبهات فصل الزيارة من هذه الموسوعة.

(٣) راجع باب الشبهات، فصل الإستشفاء بالتربة من هذه الموسوعة.

(٤) في بحار الأنوار: ١١٨/٩٧ جاء في حديث الرسول ﷺ للحسن بن علي ﷺ: «يا بني أولئك طوائف من أمتي يزورونكم فيلتمسون بذلك البركة وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم ويسكنهم الله الجنة».

يكن إلاّ تعظيماً لله وحده فلو لم يحمل أصحابها صفة العبودية المطلقة لله لما قدسهم المسلمون، فالقدسية إنما جاءت للعبودية الخالصة لله جل وعلا، وقد استندنا في بحثنا عن ذلك إلى الآيات والروايات والسيرة وفتاوى العلماء والعقل بالإضافة إلى أمور علمية أخرى لا مجال لتكرارها هنا^(١).

هذا وقد بيّنا هناك معنى البدعة والشرك في اللغة والشرع وتطبيقاتهما مما لا مجال للشبهة والشك فيه، ولا شك ان كل عمل منوط بالنية حيث ورد «إنما الأعمال بالنيات»^(٢) وإلا فإن كل من قبل إينه أو زوجته عُدَّ شركاً، أو عظم شيخاً أو عالماً فعل محرماً، واتمنى من الباحث والقارىء أن يبحث الأمور بتجرد وأن يتعامل مع الأدلة دون شروط مسبقة أو إملاءات غير مستدلة فلنكن جميعاً أبناء الدليل دون الاهواء، ولنتبع السنّة دون العكس، ولندخل إلى السنّة بعقول مجردة وقلوب مفتوحة لنستلهم منها معالم ديننا ودنيانا حلالها وحرامها ولا تأخذنا في الله لومة لائم.

(١) راجع باب الشبهات، فصل التقييل، فصل السجود، وفصل التبرك، من هذه الموسوعة.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٤/١.

وور المراقدر في نهضة الشعوب

إن أهم شيء يتوصل إليه الباحث لتاريخ المراقدر هو مدى التأثير الإيجابي الذي تتركه هذه المراقدر في المجتمعات المحيطة بها وذلك لارتباطها الوثيق بمعتقدات تلك الشعوب مما يخلق تلاحماً وثيقاً واندماجاً روحياً يؤدي إلى مد الجسور بين أبناء الشعوب في مختلف مجالات الحياة، ولعل من أبرز هذه الأدوار هو الدور الديني، الثقافي، العلاقاتي، السياسي، الإقتصادي، الفني، والعمراني، وهذه الأدوار تستحق مناقشتها نقاشاً علمياً، وجدير بأن تُفرد لها مجلدات يتولى أمرها أخصائيون في مختلف العلوم الإجتماعية والعلمية إذ لا يقتصر البحث على تلك التي أشرنا إليها بل هناك أمور نفسية^(١) وأخرى علمية لا مجال هنا لبيانها في

(١) إن الكثير ممن تنقطع بهم السبل يلتجئون إلى هذه المراقدر ويطلبون من الله حاجاتهم مقدمين أصحابها بين يدي نجواهم مع الله تعالى وبيتغون إليه سبحانه الوسيلة عبرهم لما لهم من مكانة عظيمة لديه جل وعلا للخلاص من مرض فتاك لم يستطع الأطباء معالجته أو فاقة مستعصية عجز عنها أصحاب القرار أو غير ذلك، فيكشف الله عنهم الضر كرامة لاوليائه الذين كانوا كما قال الحسين عليه السلام في مناجاته مع الله - من الوافر - :

وأيتمت العيال لكي أراكا	تركت الخلق طراً في هواكا
لما مال الفؤاد إلى سواكا	فلو قطعتنني بالحب إربا

هذه المقدمة السريعة بل ينبغي الانتقال إلى صلب الموضوع الذي خصص هذا الباب لأجله^(١)، وما سنقدمه إنما هو شيء متواضع في هذا المجال وموجز لا يفي بالغرض المطلوب، وإنما المقصود الإشارة إليه بأمل أن يقيض الله من يقوم بالكتابة عنه بالتفصيل.

= راجع الجزء الثاني من ديوان الإمام الحسين من هذه الموسوعة، وقد روى ابن عباس عن الرسول ﷺ في حق الحسين عليه السلام: في حديث طويل: «إن الإجابة تحت قبته والشفاء في تربته والأئمة من ولده»، بحار الأنوار: ٢٨٦/٣٦ عن كفاية الأثر: ١٧، ومن أراد التفصيل فليراجع: باب في ظلال الحسين - معاجز وكرامات - من هذه الموسوعة.

(١) يا حبذا كان المؤلف يذكر جميع هذه الأدوار لأنها قيمة في مجالها - المعد.

الدور السياسي للمراقدة

السلطات والحكومات الجائرة ومنذ اليوم الأول قامت وارتكزت على الكذب والزيف وتغيير الحقائق وخداع الشعوب واستغلالها .

فمن الطبيعي أن لكل شعب معتقداته ومفاهيمه وتقاليده ومقدساته إضافة إلى تصوراته الخاصة حول الكون والحياة وأمور الدين والمعتقد، والحكومات اللاشرعية التي لا تراعي الأسس الإنسانية والإلهية حاولت وتحاول ومنذ العهد الأول إستخدام واستغلال عواطف ومشاعر الناس لمصالحها والتي من أهمها على الإطلاق دعم بقائها في الحكم وتثبيت ركائزه، ففراها تهيج عواطف الشعوب إن سلباً أو إيجاباً لتثبيت أمر ما، أو لدفع ضرر يحيق بها، ولكنها تغفل العواقب السيئة في الأمد البعيد، لأنها لا تنظر إلى أبعد من أنفها ولا تفكر للمستقبل وللتاريخ، إذ ليس من المعقول وحسب منطقها التخلي عن مصالحها الآنية، فعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة^(١). لذا فإن كل التبعات والسيئات ومظالم المجتمع تقع على كاهلها لأنها هي التي سيرت

(١) قوله: «عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة» مثل شائع - المعد.

الشعوب في الإتجاه الذي ترضاه وفقاً لمصالحها، وما زالت سياستها قائمة على القتل والتشريد بحق شعوبها من أجل قبول اتفاقية أو تمرير مؤامرة سياسية، كان من الصعب تنفيذها أو تمريرها مباشرة دون اللجوء إلى السبل المزيّفة والمخادعة وما أكثرها، ولنا على ذلك أمثلة كثيرة حية تنطق بالحق نتجنب ذكرها خوفاً من تحسس مرارة الحق^(١).

وإذا ما كانت هذه الحكومات على حق وجاءت لمصلحة شعوبها وأبنائها، فلمَ كل هذا الإضطهاد والعسف والتشريد والتهجير والقتل والدمار دون أدنى رأفة ورحمة؟!.

وعودة إلى صلب موضوعنا الذي من أجله فتحنا هذا الملف الذي لا يمكن غلقه بسهولة ألا وهو الدور السياسي للعتبات المقدسة وأثرها في رسم أطر الدول ونهجها، ولعلنا للوهلة الأولى لا ندرك مدى تأثير هذا الدور أو ربما ننسب تأثيره للماضي البعيد بسبب تطور أساليب الحكم وتغير نهج الدول في الوقت الحاضر، ولكن الأمر يتضح بمجرد دراسة الوضع السياسي لدول اليوم فنجد أن الحقيقة في الماضي والحاضر واحدة وهي ان الدول تقام على أكتاف الشعوب، وان الدوافع والمصالح السياسية للدول والحكومات كانت على الدوام هي السبب الرئيس في تحريك عواطف الشعوب وتسخير معتقداتها.

وإذا راجعنا تاريخ الماضي والحاضر، وتمكنا من دراسته بإمعان وبصيرة وفهم معطياته وتحركات دوائر الحكم وقواه

(١) جاء في المثل (الحق مر).

السياسية ومناورات السلطات وقارناها مع الحاضر لظهرت لنا حقيقة واحدة لا مفر منها، وهي: أن التاريخ يعيد نفسه^(١) وأن للحكم ثوابت لا تتغير وإنما المتغير منها هي الأساليب فقط.

ونحبذ قبل مطالعة الفقرات التالية، أن يراجع القارئ تاريخ الروضة الحسينية من هذه الموسوعة حتى يرتفع بعض الغموض الذي يكتنف البحث، فلدى مراجعتنا لتاريخ الروضة الحسينية نرى أن الدول التي أرادت فرض سيطرتها على منطقة الشرق الإسلامي كلاً أو بعضاً، إسلامية كانت أم أجنبية، سنية كانت أم شيعية، مباشرة كانت أو غير مباشرة، لجأت إلى سياسة^(٢) الترغيب والترهيب^(٣) وسياسة العطف والعنف بدءاً بالدولة الأموية ومروراً بعهود الظلم التي توالى على حكم عالمنا الإسلامي وانتهاءً بالدول العظمى التي حشرت أنفها في المنطقة بغرض السيطرة عليها واستنزاف قدراتها المادية والمعنوية. فمذ اللحظة الأولى التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وضع الحكم الأموي العقبات والموانع متشبيهاً بكل الوسائل والحجج لمنع الناس من زيارة قبره الشريف، وما ذلك إلا لمعرفة بعظمة الراقد في هذا

(١) قوله: «التاريخ يعيد نفسه» مثل شائع - المعد.

(٢) من الأخطاء الشائعة استخدام كلمة «السياسة» للدلالة على أعمال وجوانب سيئة: وللتفصيل راجع باب العامل السياسي لنهضة الحسين من هذه الموسوعة.

(٣) عرف معاوية بأنه أول من استخدم هذه السياسة أو عرف بها، ويبدو أن المصطلح عرف به، وإلا فإن مضمون هذه السياسة قديمة، وهذا ما يفعله الأمريكيون حالياً في حربهم ضد العراق وحتى بعد سقوط صدام حسين إذ يستخدمون سياسة الترغيب والترغيب على شكل دولي شامل - المعد.

المرقد وعلمها بعمق تأثيره في النفوس التي تستلهم منه القوة والعزم والإصرار على الثورة ضد الظالمين، فمراسم زيارة القبر من دعاء وأعمال إذاً عمل سياسي معارض في عرف بني أمية يجب وقفه بشتى السبل والطرق.

لقد كان لهذا القبر الشريف الحي بنهضته والدائم الإشعاع أثر بالغ الوقع والتأثير في الكثير من الأحداث والوقائع والثورات على مر العصور والأزمان.

ومن ذلك وقفة التوابين^(١) على قبره الشريف ومخاطبتهم إياه ليطلبوا التوبة عنده وليستمدوا منه العزم والقوة لمحاربة الأعداء إيماناً منهم بأن حياة الفكر أبقي من حياة الجسد.

ثم تأتي ثورة المختار الثقفي^(٢) لتستثمر حب وعواطف الناس وإيمانهم بعظمة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره فتثور على

(١) التوابون: جماعة من شيعة أهل البيت عليهم السلام ندموا على تركهم نصره الإمام الحسين عليه السلام حين جابهه الجيش الأموي فخرجوا على الحكم الأموي بقيادة سليمان الخزازي والمسيب الفزاري وعبد الله الأزدي ورفاعة البجلي وعبد الله التيمي وذلك بعد هلاك يزيد بن معاوية عام ٦٤هـ، وللتفصيل راجع باب أضواء على مدينة الحسين، وباب الحسين حركة تلد أخرى من هذه الموسوعة.

(٢) المختار الثقفي: هو المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي أبو إسحاق، من زعماء الثائرين على بني أمية، واحد من الشجعان الأفذاذ، ثار على الأمويين وتعقب قتلة الحسين عليه السلام فقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة، قتل في حربه مع مصعب بن الزبير وذلك في عام ٦٧هـ وكانت مدة إمارته ستة عشر شهراً، وللتفصيل راجع باب الحسين حركة تلد أخرى من هذه الموسوعة.

الدولة الأموية ذات الشوكة والبطش. وما أن تولى المروانيون^(١) الأمر حتى منعوا من جديد زوار قبره الشريف دون أن يجروا على مس القبر المطهر خوفاً من خدش مشاعر الناس ومعتقداتهم، ولكّتهم حاولوا كأسلافهم السير بذات النهج المخادع للبقاء في الحكم، فعملوا بكل وقاحة وحقد على سبه وشتمه وهو الراقد البعيد عن عاصمة ملكهم لا شيء إلاّ لمحو ذكره وتشويه صورته في أذهان العامة من الناس، ليستتب لهم الأمر ويدوم لهم الملك.

ولكن هيهات أن يهنأ لهم الحال وتستقر بهم الأمور إذ قامت هنا ثورة زيد^(٢) وهناك ثورة صاحب «فخ»^(٣) فتولد ثورة من رحم ثورة^(٤)، وتتواصل الثورات والانتفاضات لتطالب بالثأر لهذا الراقد تحت الثرى.

واستغلّ العباسيون سوء الوضع وترديّه على أثر العنف المتزايد الذي استخدمه الأمويون بحق أتباع ومحبي هذا المدفون

(١) تنقسم الدولة الأموية إلى مرحلتين الأولى بدأت عام ٣٦ هـ بتولي معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين، وانتهت عام ٦٤ هـ ذلك باستقالة معاوية بن يزيد، وبدأت المرحلة الثانية عام ٦٤ هـ حين تولى الحكم مروان بن الحكم وانتهت بالقضاء على مروان الحمار عام ١٣٢ هـ.

(٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٦٦ - ١٢١ هـ) خرج على الحكم الأموي، قتل في مواجهة الجيش الأموي في الكوفة.

(٣) صاحب «فخ»: هو الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) ابن الإمام الحسن (السط) الذي نهض عام ١٦٩ هـ على الحكم العباسي، قتل في مواجهة الجيش العباسي في منطقته «فخ» قرب مكة.

(٤) راجع باب الحسين... حركة تلد أخرى من هذه الموسوعة.

بكريلاء، فقاموا وباسم قرابة الدم بتأليب الوضع وإثارته من أدنى البلاد إلى أقصاها مستغلين حب الناس وتعلقهم وإخلاصهم لهذا الراقد الأشم.

ولما آل الأمر إليهم واستتبّ لهم الحكم ورسخ سلطانهم، كُشِفَ عنهم القناع وظهر زيفهم بعد طول كذب ومواراة.

فجاء المنصور العباسي^(١) ليأمر بهدم قبر الحسين عليه السلام ويمنع الموالين من زيارته وأعقبه هارون^(٢) فنهج نهجه إلى أن وصل المتوكل^(٣) إلى الحكم فحرث القبر أربع مرات أَمْلاً في محو أثره وذكره من القلوب والنفوس، وهو بفعلته هذه أججَّ غضب الناس وكره نفسه فرموه بأشعارهم ورجموه بكلماتهم^(٤) وعلى اثر ذلك قتله ابنه^(٥) شر قتلة عقاباً له لحرثه قبر من دفن قبل عشرات السنين بأرض الطف.

نعم اقتضت سياسة الحكومات والإمبراطوريات التي تعاقبت

-
- (١) المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (عم الرسول ﷺ) ثاني من حكم من العباسيين بين (١٣٦ - ١٥٨هـ).
- (٢) هارون: هو ابن محمد المهدي العباسي الملقب بالرشيد، خامس من حكم من العباسيين وذلك ما بين (١٧٠ - ١٩٣هـ) واتخذ لنفسه عاصمتين بغداد والرقعة.
- (٢) المتوكل على الله: هو جعفر بن محمد المعتصم العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ) عاشر من حكم من بني العباس وذلك منذ عام ٢٣٢هـ.
- (٤) سيأتي تفصيل ذلك في القرن الثالث من تاريخ مرقد الحسين عليه السلام من هذا الباب.
- (٥) ابنه: هو المنتصر بالله (محمد بن المتوكل) الحاكم العباسي الحادي عشر (٢٤٧ - ٢٤٨هـ).

تعظيم هذا القبر وإعمارهِ بينما سعت أخرى إلى هدمه ومحاولة إطفاء نوره ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره.

فهناك حكومات عربية وتركية وفارسية وتركمانية كانت تتسابق تارة إلى إبداء إحترامها وإظهار تقديسها لهذا القبر وتبجيله وصرف المبالغ الطائلة التي قدرت بملايين الدنانير الذهبية من أجل إعمارهِ، وتارة تأتي حكومات أخرى لتنهب هذه الأموال أو لتصرفها على جندها وعتادها.

كل هذا يشير إلى ما لهذا القبر الشريف من أهمية سياسية في هذه المنطقة الحساسة والمهمة من عالمنا الإسلامي، فعلى الحب والولاء أو البغض والمعاداة لصاحب هذا القبر المطهر حكم سلاطين وولاة، وهوت عروش وكراس، وقتل ملوك وقادة، وإلى هذا يشير الكليدار^(١) لدى تطرقه لزيارة السلطان سليمان القانوني لقبر الإمام الحسين عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام والكيفية التي زارهما بها من إبداء الخضوع والخشوع والترجل من مسافة بعيدة، فما ان وقعت عيناه على القبة المنورة حتى ارتعشت أعضاؤه حتى أنه لم يستطع الركوب على الفرس فأنشد يقول - من الطويل - :

تراحم تيجان الملوك ببابه ويكثر عند الإستلام ازدحامها
إذا ما رآته من بعيد ترجلت وإن هي لم تفعل ترجل هامها

(١) الكليدار: هو عبد الجواد بن علي آل طعمة المتوفى عام ١٣٧٩هـ مؤلف كتاب كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، كما أصدر جريدة يومية في بغداد باسم جريدة الاحرار.

ويستنتج من ذلك مدى ما كان للعتبات المقدسة في العراق من القوة والنفوذ والتأثير في التوازن الدولي في الشرق الإسلامي وإلى أي درجة كان السلطان سليمان القانوني^(١) بطل الحروب والفتوح الذي دوّخ أوروبا مدة حكمه فطوى رقعة البلاد الأوروبية الشرقية فوقف على أبواب (ثيينا)^(٢) عاصمة أعظم إمبراطورية في ذلك الوقت، يحاول التقرب إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف ويسعى في جلب رضاها وكسب ودها^(٣) فأين صارت قوتها المعنوية تلك؟ ومن قضى عليها يا ترى؟.

فإن ما قام به من خدمات جليلة للعتبات المقدسة، ثم استمداده من أرواح الأئمة، فترجله عن الفرس عند رؤيته القبة المنورة عن بعد ومسيره مشياً على الأقدام إلى النجف، وقطعه لسان من كذب قصة مرة بن قيس^(٤)، وقتله من فضله على أمير

(١) سليمان القانوني: هو سليمان الأول بن سليم بن بايزيد الثاني، عاشر السلاطين العثمانيين حكم ما بين عام ٩٢٦ و ٩٧٤هـ.

(٢) ثيينا: (ويانه) عاصمة دولة النمسا الحالية تمكن العثمانيون من حصارها عام ١٠٩٤هـ الموافق لعام ١٦٨٣م بعد سنوات طويلة من الحرب إنتصر فيها العثمانيون في عدة مواقع، ولعل أشهرها واقعة موهاكس الواقعة عام ٩٣٢هـ الموافق لسنة ١٥٢٦م والتي انتصر فيها السلطان العثماني سليمان القانوني على دولة المجر المحاذية للنمسا.

(٣) أراد رضی وود شعوب تلك المنطقة.

(٤) مرة بن قيس: لعله تصحيف قرّة بن قيس الحنظلي، من المقاتلين في معسكر ابن سعد في كربلاء، ويمكن أن يكون مرة بن منقذ بن النعمان العبدي القيسي قاتل علي الأكبر ابن الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء - راجع باب معجم من قاتل الحسين من هذه الموسوعة.

المؤمنين لكونه الخليفة الحي فلم يكن ذلك كله إلا لجلب الرأي العام الشيعي، وكسب ود أهالي العتبات المقدسة إلى جانبه، توطيداً لدعائم حكمه في العراق، تلك العتبات التي كان لها التأثير البالغ في التوازن الدولي في الشرق و «كان يشع منها نفوذ قوي الوقع»^(١) فكان يتوقف عليه مصير السلطان وحكمه في هذه البلاد^(٢). لقد أورد المؤرخون بأن الحكومة العثمانية في حربها مع الدولة البريطانية استخدمت سبلاً للدعاية^(٣) ضدهم بأمل كسر شوكتهم ووقف تقدم الجيش البريطاني والدعوة لالتحاق الفارين من الجيش العثماني من أبناء جنوب العراق، ومن تلك السبل تشويه سمعة وتصرفات الجيش البريطاني في نظر الشعب العراقي وكل الشعوب المسلمة، فقامت الحكومة العثمانية بنشر إشاعات ودعايات تذكرهم بسوء، منها ما ذكره طعمة^(٤) قائلاً: «ذكرت الجريدة الرسمية - صدى الإسلام -^(٥) أن الإنكليز يأتون بأطباء وطبيبات لتلقيّن المريض المسلم الديانة المسيحية وأنهم يضربون

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٣٠.

(٢) تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٢٥٨ بتصرف.

(٣) هذه الجملة سقطت من الأصل المطبوع، وإلى هذا أشرنا في المقدمة - المعد.

(٤) طعمة: هو سلمان بن هادي آل طعمة، كاتب وشاعر عراقي معاصر، من مؤلفاته كربلاء في الذاكرة، تراث كربلاء، تاريخ المرقدين.

(٥) صدى الإسلام: جريدة أصدرها الجيش العثماني في بغداد باللغتين العربية والتركية تولّى إدارتها رؤوف الجادرجي، وصدر العدد الأول منها في ٢٣/٧/١٩١٥م (١١/٩/١٣٣٣هـ) وهي جريدة سياسية عامة كانت تصدر كل أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة وتوقفت عن الصدور بإحتلال البريطانيين لبغداد.

الناقوس ضرباً شديداً وقت الأذان كي لا يسمع المؤمنون قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وعندما ذكر الناس ذلك للحاكم العسكري أجابهم: (قريباً ندقه على منابر كربلاء والنجف وقبة عبد القادر الكيلاني^(١))، (وأن الإحتلال يسيطر على أوقاف المعابد الإسلامية وينفق أموالها على الكنائس)^(٢)، كما قامت حكومة الإحتلال بخطوة معاكسة لتشويه صورة العثمانيين في أذهان الناس في العراق فدرجت جريدة العرب^(٣) الرسمية الموالية للبريطانيين على الضرب على أوتار النعرة الطائفية للعثمانيين وإبراز محاسن المحتل البريطاني وإظهار إحترامه للمقدسات الدينية وأماكن العبادة، وفي هذا الصدد تذكر الجريدة ما حدث في كربلاء بقولها: «إذ رمى الأتراك قنابلهم على القبة المطهرة - قبة الحسين عليه السلام - وقذفوا مئات مثلها على الساعة الكبيرة في الروضة العباسية المقدسة^(٤)»، وفي معرض الإثارة هذه نسبت الصحيفة في

(١) الكيلاني (الجيلاني): وهو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد الكيلاني (٤٧٠ - ٥٦٠هـ) من كبار الصوفيين ومؤسس الطريقة القادرية، عاش ودفن في بغداد، من آثاره (الفتح الرباني)، (الغنية لطالبي طريق الحق) وله مرقد يزار.

(٢) الإحتلال البريطاني والصحافة العراقية: ١٤٧ عن جريدة صدئ الإسلام البغدادية، الاعداد الصادرة بالتواريخ ١٣/٩/١٩١٥م، ٣٠/٩/١٩١٥م، ٢/٤/١٩١٦م، ٥/٤/١٩١٦م، الموافق ٤/١٢/١٣٣٣هـ، ٢١/١٢/١٣٣٣هـ، ٢٨/٥/١٣٣٤هـ و ١/٦/١٣٣٤هـ.

(٣) جريدة العرب: تعتبر أول جريدة بريطانية باللغة العربية صدرت في بغداد، ظهر عددها الأول في ٤/٧/١٩١٧م (١٤/٩/١٣٣٥هـ) بصفحتين بين يوم ويوم ثم أصبحت يومية، وهي جريدة سياسية عامة تولى إدارتها (جون فيلبي) آخر عدد صدر منها يوم ٣١/٥/١٩٢٠م (١٣/٩/١٣٣٨هـ).

(٤) في الأصل «في الروضة المقدسة لروضة العباس».

نفس العدد إلى القائد العام التركي خليل باشا قوله: «لأخربن وأنسفن ضريحي الحسين وعلي بن أبي طالب ﷺ وأنقل ما فيهما إلى المدينة» وتهدف الإثارة إلى نفي أن يكون للعثمانيين خدمة لهذه الرياض المقدسة حيث توجه الجريدة سؤالها إلى القراء فتقول: «وهل سمعت في حياتك انهم خدموا الروضات المطهرة خدمة تذكر»^(١).

على أن ملوك إيران عندما كانوا يأتون للزيارة فإنهم كانوا يبيتون خارج المدينة تهيؤاً واستعداداً للقاء هذا المدفون تحت الثرى منذ وقعة الطف الدامية، ثم يقدمون إلى حرمة في أتم الخشوع والتجرد فيقبلون عتبة باب روضته مستأذنين الدخول، ويعكفون الليل عنده بالدعاء والتوسل، نخص بالذكر منهم الديالمة البويهيين^(٢) والصفويين^(٣) إلى غيرهم. أما الوهابية^(٤) التي حكمت

(١) راجع الإحتلال البريطاني والصحافة العراقية: ٢٥٦ عن جريدة العرب البغدادية العدد الصادر بتاريخ ١١/٩/١٩١٧م الموافق ٢٤/١/١٣٣٦هـ.

(٢) الديالمة البويهيون: أسرة فارسية حكمت إيران من (٣٢٠ - ٤٤٧هـ) امتد سلطانها إلى بغداد، أسسها أبو شجاع بويه الديلمي، قضى عليهم السلاجقة.

(٣) الصفويون: سلالة علوية حكمت إيران والعراق للفترة من (٩٠٧ - ١١٤٩هـ) تنتسب إلى صفي الدين الأردبيلي، أسسها إسماعيل الأول بن حيدر الأردبيلي واتخذت من تبريز ثم قزوین ثم أصفهان عاصمة لها، إنقرضت على يد نادر شاه الأفشاري.

(٤) الوهابية: فرقة من الحنابلة ذات نزعة سلفية دعا إليها محمد بن عبد الوهاب التميمي المتوفى عام ١٢٠٦هـ وتعتمد في تعاليمها على آراء ابن تيمية، ساعد محمد بن سعود على انتشارها في الجزيرة العربية.

الحجاز ونجد^(١) فانها أغارت على مدينة كربلاء^(٢) ودنست القبر ونهبت كل خزائنه وتحفه النفيسة لتتمكن بما استحوذته من ثروة لنشر مبادئها وتعاليمها وإقامة حكومتها في الجزيرة العربية على أن القرامطة^(٣) والشعشاعيين^(٤) كانوا قد سبقوهم في فعل النهب والسرقة من الحرم الحسيني.

وعلى عكس هؤلاء تماماً يقتبس غاندي^(٥) محرر الهند قبساً من نور وفكر سيد الشهداء عليه السلام في رسم لنفسه منهاجاً مستوحى من نهج الحسين ويسلك طريقاً عبده أبو الأحرار من قبله إذ يقول قولته المشهورة: «تعلمت من الحسين كيف أكون

(١) الحجاز ونجد: إقليمان مستقلان في الجزيرة العربية قام عبد العزيز بن سعود (١٢٩٨ - ١٣٧٢هـ) بأخذ نجد من ابن رشيد والحجاز من الشريف حسين، ولما استقر له الحكم أعلنها مملكة عام ١٣٥١هـ.

(٢) قامت الفرقة الوهابية بالهجوم على كربلاء المقدسة أربع مرات، الأولى عام ١٢١٦هـ، والثانية عام ١٢٢٣هـ، والثالثة عام ١٢٢٥هـ، والرابعة عام ١٢٢٦هـ، وقيل أكثر من ذلك، وللتفصيل راجع فصل الحركة السياسية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

(٣) القرامطة: حركة دينية منحرفة أسسها أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي عام ٢٨٦هـ، حكمت عدداً من المناطق الإسلامية العربية إلى أن قضى عليهم الأمراء العيونيون في منطقة البحرين الكبرى عام ٤١٨هـ.

(٤) الشعشاعيون: لقد قام فلاح بن محمد المشعشي، وقيل منصور المشعشي بإنشاء دولة في جنوب العراق وإيران عرفت بالدولة المشعشعية وذلك عام ٨٤٠هـ، إنقرضت عام ١٠٢٥هـ.

(٥) غاندي: فيلسوف زعيم هندي ولد في بور بندر سنة ١٢٨٦ هـ، اشتهر بلقب «المهاتما» أي النفس السامية، تخرج في الحقوق من جامعات لندن، قائد حركة الاستقلال في الهند وحررها من الاحتلال البريطاني سنة ١٣٦٦ هـ، توفي سنة ١٣٦٧ هـ - المعد.

وإلى سنين خلت من زماننا المعاصر نرى أن بهلوي الثاني^(٢) يترك بلاده هارياً على أثر ثورة مصدق^(٣) النفطية فيزور مرقد الإمام الحسين عليه السلام ويقف أمام ضريحه طارقاً برأسه باكياً متوسلاً راجياً العودة للحكم والسلطة. فتقوم الصحافة الموالية بنشر الخبر وتصوره وهو بهذا الحال من الخشوع والمسكنة لتستميل عواطف الشعب الإيراني وتظهره بمظهر المتدين الموالي، وعندما تحققت عودته للحكم مرة أخرى كان بين الفينة والأخرى يشيع وينشر بعض القصص والروايات عن رؤياه ولقياه في عالم الرؤيا بالأئمة عليهم السلام وابنائهم لكسب ثقة الناس به، ومما أشاعه من أن أبا الفضل العباس عليه السلام جاء في المنام وأخذ بيده وبارك له أفعاله وأعماله، فهو إذًا كما زعم مؤيد ومسدّد منه، كل ذلك لعلمه بما لأبي الفضل العباس من كرامة ومكانة في قلوب الناس^(٤).

(١) راجع: باب قالوا في الحسين من هذه الموسوعة.

(٢) بهلوي الثاني: هو محمد رضا بن رضا بن عباس (١٣٣٨ - ١٤٠٠هـ) تولى الحكم في إيران بعد تنازل أبيه عن السلطة حكم من الفترة (١٣٦٠ - ١٣٩٩هـ).

(٣) مصدق: هو محمد بن هدايت الآشتياني، ولد في ٢١ رجب ١٣٠٠هـ، تولى رئاسة الوزراء في إيران عام ١٩٥١م (١٣٧٠هـ)، قام بانقلاب على الشاه في العام نفسه، ألغى معاهدة النفط الإيرانية البريطانية في العام نفسه، ولكنه عزل عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ) وسجن ثلاث سنوات، مات في يوم الأربعاء ٢٠ ذو الحجة ١٣٨٥هـ.

(٤) مجلة التوفيق الطهرانية عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) والصحف الرسمية في إيران.

إن هذه الظواهر والتصرفات لا يمكن تفسيرها وفهم مدلولاتها وأبعادها الحقيقية إلا حينما ندرك البعد السياسي العظيم لصاحب هذا القبر الشريف.

على أن ملوك ورؤساء وأمراء العالم وشخصياته البارزة كانوا لدى زيارتهم للعراق يقصدون زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليثبتوا لشعوبهم ومريديهم ولاءهم لصاحب القبر وليبرهنوا بأنهم على خطاه وخطي جده عليه السلام وأبيه عليه السلام علّ ذلك ينفعهم للبقاء أو الوصول إلى الحكم.

وفي حرب الخليج الثانية^(١) وفي معرض إظهار إحترامه لمقدسات الشعوب أكد جورج بوش^(٢) إحترامه للعتبات المقدسة مؤكداً أن قوات التحالف سوف لا تتعرض لها بأدنى سوء^(٣)،

(١) حرب الخليج الثانية: اسم أطلق على الحرب التي قامت بين قوات التحالف الدولي الذي قاده الولايات المتحدة الأمريكية من جهة وقوات النظام العراقي بقيادة صدام حسين من جهة ثانية وذلك إثر إحتلال العراق للكويت عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) وقد سمتها الحكومة الامريكية «عاصفة الصحراء» بينما سمتها الحكومة العراقية «ام المعارك»، أما حرب الخليج الأولى فقد أطلقت على الحرب بين العراق وإيران والتي استمرت ثمانية أعوام (١٤٠٠ - ١٤٠٨هـ) الموافق (١٩٨٠ - ١٩٨٨م).

(٢) جورج بوش: ولد عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) تولّى نيابة الرئاسة الأمريكية في عهد رونالد ريغان ثم انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية للفترة ما بين ١٤١٠ - ١٤١٤هـ (١٩٨٩ - ١٩٩٣م)، قاد التحالف الغربي والعربي في الحرب ضد النظام العراقي عام ١٤١١هـ والتي عرفت بحرب الخليج الثانية.

(٣) راجع جريدة الشرق الاوسط اللندنية الصفحة: ٢ الصادرة بتاريخ ٢٩/١/ ١٩٩١م = ١٣/٧/١٤١١هـ، والصحف العالمية والمحلية الاخرى قبيل هذا التاريخ.

وفي حرب إعلامية مضادة إتهم صدام حسين^(١) قوات التحالف بقصف الروضة المقدسة^(٢).

ثم نراه هو وجلاوزته يقصفون تلك القباب المنورة^(٣) ويدنسون الحضرة المطهرة في أعقاب حرب الخليج وهزيمته فيها، وتبجح رئيس أركانه حسين كامل^(٤) مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام

(١) صدام: ابن حسين بن مسلط المجيد ولد في تكريت عام ١٣٤٦هـ، إنتمى إلى حزب البعث الإشتراكي، تمكن من الوصول إلى سدة الرئاسة بالقضاء على رفيق دربه أحمد حسن البكر عام ١٣٩٩هـ، وفي عهده شن حريين الأولى ضد إيران عام ١٤٠٠هـ إستمرت زهاء ثمانية أعوام، والثانية إجتاح فيها الكويت عام ١٤١١هـ، وأدت إلى الحرب مع قوات التحالف، واندلعت في عهده أيضاً عدد من الإنتفاضات الشعبية منها إنتفاضة شعبان المباركة عام ١٤١١هـ وإنتفاضة الأكراد في العام نفسه، ولا زال الشعب العراقي يعيش حالة المعاناة... راجع فصل الحركة السياسية من باب اضواء على مدينة الحسين عليه السلام من هذه الموسوعة. أقول - : والقول للمعد - أطيح بنظام صدام في شهر صفر من سنة ١٤٢٤هـ من قبل القوات الأمريكية.

(٢) وكان ذلك في اليوم السابع من الحرب اي في ٢٢/٢/١٩٩١م = ٨/٧/١٤١١هـ كما اوردها الصحف المحلية العالمية بذلك التاريخ - راجع صحيفة العهد البيروتية، الصفحة: ١١/ التاريخ: ٨/٨/١٤١١هـ، جريدة العرب اللندنية العدد: ٣٤٧٤/ الصفحة: ١/ التاريخ: ٨/٨/١٤١١هـ.

(٣) جريدة الحياة اللندنية: العدد: ١٢٠٨٤/ الصفحة: ٨/ التاريخ: ١٢/٦/١٤١٦هـ.

(٤) حسين بن كامل: ابن حسن المجيد صهر الرئيس العراقي صدام حسين الذي أوكل إليه العديد من المناصب العالية وكان يعتبر الرجل الرابع في القمع، له دور في قمع الإنتفاضة الشعبانية، قام بمذابح عديدة في كربلاء المقدسة، ترك العراق إلى الأردن بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٤١٥هـ ثم رجع في ١ شوال من العام نفسه، وقد أعلن مقتله رسمياً بمجرد رجوعه إلى العراق في حادث غامض، راجع: فصل الحركة السياسية من باب مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

بقوله (أنا حسين وأنت الحسين فلنر من هو الأقوى)^(١). غايته كسر معنويات هذا الشعب الثائر الذي أراد أن ينتهج في انتفاضته^(٢) نهج صاحب هذا القبر الشريف^(٣).

ومما يتناقله أبناء هذه المدينة المقدسة انه ما من ظالم أو متجبر من الملوك والرؤساء زار المرقد زيارة رسمية وعلنية أيام حكمه إلا وهلك أو أزيح عن سدة الحكم ولو بعد حين.

ولعل السر في تكرار المقامات وتعددتها كما في الرأس

(١) جريدة الحياة اللندنية: العدد: ١١٨٦٢ / الصفحة: ١٧ / التاريخ: الإثنين ١٨/٣/١٤١٦هـ.

(٢) قام الشعب العراقي بانتفاضة عظيمة من مدينة الحسين قبيل منتصف شعبان من عام ١٤١١ الموافق لأواخر شباط من عام ١٩٩١م على أثر هزيمة العراق في حربه مع قوات التحالف الدولي، قمعت الانتفاضة بوحشية وقسوة من قبل جلاوزة النظام العراقي وبمؤامرة دولية في أعقاب محادثات خيمة صفوان التي جمعت بين قائد قوات التحالف الأمريكي نورمان شوارزكوف والعراقي الفريق سلطان بن هاشم التكريتي، وأضيف - بالإضافة من المعد - إن حصيلة هذه الانتفاضة كانت مئات آلاف من القتلى وذلك بسبب الضوء الأخضر الذي اعطته الإدارة الأمريكية - المعد.

(٣) ومن الجدير ذكره أن هذه الظاهرة تكررت في شهر محرم الحرام من هذا العام (١٤٢٣ هـ) عندما قام الأمريكيون بغزو العراق فكانت العتبات المقدسة في العراق من الأوقات الضاغطة التي كان الطرفان يستخدمانها للعمل على تشويه صورة الآخر، مع العلم أن صدام حسين لم يكن بالنسبة إلى الأمريكان إلا الطفل المدلل الذي صنعوه وأوصلوه إلى الحكم، وأوكلوا إليه بعض المهام والتي كان من أهمها وصول الأميركيين إلى نفط المنطقة وثرواتها، وترسيخ قواعدهم العسكرية فيها - كما هو الحال بالنسبة إلى بن لادن - ولما انتهت مهمته أزيل عن الحكم ليبقى في ضيافتهم وتحت حراستهم إلى أن تسقط أوراقه ويتعري عن كل مظاهر الإنسانية - المعد.

الشريف والذي في الأصل واحد هو أمر سياسي أكثر مما هو تبركي، إذ يمكن اعتبارها أحد الوسائل المهمة والمؤثرة لمحاربة الظالمين وكسر شوكتهم.

وكان للخلاف السياسي شبه المستمر الذي حكم العلاقة بين الإمبراطورية العثمانية والإيرانية أثره البالغ في إغلاق أو فتح باب الزيارة للعتبات المقدسة، فهذا مدحت باشا^(١) والي بغداد الذي سبق له أن هاجم مدينة كربلاء يوجه دعوة للسلطان الإيراني^(٢) لزيارة العتبات المقدسة وعلى نفقة الإمبراطورية العثمانية^(٣)، وهذا ملك إيران رضا بهلوي^(٤) يمنع الزوار من الذهاب إلى العراق بقصد زيارة العتبات المقدسة لأسباب سياسية، ومع هذا يعتذر للرأي العام ويختلق الحجج خوفاً من الأبعاد السيئة لهذا المنع وإلى هذا يشير العلوي^(٥): «ولم يكن

(١) مدحت باشا: ابن الحافظ محمد أشرف - من القضاة - من آل الحاج علي الروسجفي، ولد عام ١٢٣٨هـ وقتل خنقاً في السجن عام ١٣٠٢هـ من أشهر رجالات الإدارة العثمانيين، صدر أعظم (١٢٨٩ - ١٢٩٤هـ)، والي العراق عام ١٢٨٥هـ.

(٢) في سنة ١٢٨٧هـ جاء السلطان ناصر الدين القاجاري إلى العراق بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية فزار المشهد الحسيني، وسيأتي تفصيل ذلك في القرن الثالث عشر من هذا الباب.

(٣) راجع القسم الاقتصادي من هذا الباب حيث فصلنا القول عن هذه الزيارة.

(٤) رضا بهلوي: بن عباس قلي (١٢٩٦ - ١٣٦٣هـ) ملك إيران بعد القضاء على الدولة القاجارية عام ١٣٤٣هـ، وبعد دخول جيوش الحلفاء إلى إيران انتزعوا منه التنازل عن العرش لصالح ابنه محمد رضا وذلك عام ١٣٦٠هـ ونُفي إلى جزيرة موريشيوس حيث مات فيها، حاول منع الحجاب وإقامة الشعائر الدينية.

(٥) حسن العلوي: كاتب عراقي معاصر ولد عام ١٣٥٣هـ في بغداد عمل في =

ليجروا حاكم إيراني على منع الإيرانيين من السفر لزيارة العتبات المقدسة سوى رضا بهلوي، وقد برّر موقفه هذا بما كان يعانيه الزوار من تعذيب وإيذاء أثناء مرورهم في دوائر ومراكز الحدود العراقية»^(١).

ومن الآثار القيمة والأبعاد المفيدة لوجود هذه العتبات المقدسة هو عمق تأثيرها في سياسة الحكام وسلوكهم وإعتدال تصرفاتهم وتوازنها، وفي هذا الصدد ينقل الرهيمي^(٢) عن فيليب^(٣) في معرض ذكره لسيرة الملك فيصل الأول^(٤) حيث يقول: «ومنذ قدوم الملك فيصل إلى العراق كان يبدي تقرباً من علماء النجف وكربلاء والكاظمية عبر تقديم نفسه على أنه شيعي المذهب وعبر زيارته العتبات المقدسة وتأديته الصلاة وفقاً للتقاليد الإسلامية الشيعية»^(٥)،

= الصحافة وله مؤلفات منها الجواهري ديوان العصر، التأثيرات التركية في المشروع العربي في العراق.

(١) الشيعة والدولة القومية في العراق: ٣٣١.

(٢) الرهيمي: هو عبد الحليم بن أحمد، كاتب وصحفي عراقي ولد عام ١٣٦٢هـ في الحلة درس بجامعة بغداد وتخرج من الجامعة اللبنانية عام ١٣٩٨هـ وتخصص بعلم التاريخ، سكن لندن بعد دمشق منذ عام ١٤١٠هـ.

(٣) فيليب: هو فيليب إيرلند PHILIP IRLAND كاتب أمريكي كتب عن العراق له كتاب - العراق - دراسة في تطوره السياسي Iraq, Astudy in Its political Development-London-1937.

(٤) فيصل الأول: ابن الشريف حسين الحسني ولد في الطائف عام ١٣٠١هـ أول ملك حكم العراق بعد ثورة العشرين وذلك بين ١٣٣٩ - ١٣٥٢هـ (١٩٢١ - ١٩٣٣م) خلفه ابنه غازي الأول.

(٥) تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: ٢٩٠ عن: العراق دراسة في تطوره=

ويتطرق النفيسي^(١) لدى بحثه عن تطور العراق السياسي وقيام الشيعة ضد الاحتلال البريطاني وعن ثورة العشرين ودور المراقدة المقدسة حيث يقول: «وقد ينظر إلى هذه المقامات على أنها مجرد مراكز دينية ذات نفوذ واسع ولكن المرء لا يستطيع أن يتغاضى عن كونها إلى جانب هذا ذات نفوذ سياسي واسع النطاق بصفتها ملاذاً يلجأ إليه الزعماء السياسيون في أوقات الضيق عندما تنشأ أزمة حادة بينهم وبين السلطة العلمانية»^(٢). ويقول الخياط^(٣): «إن الملوك والأمراء الذين كانوا يتنافسون على تشييد هذه المعالم الفنية كان يحدوهم إلى ذلك الوازع الديني والدافع الروحي، أو كما يقال إنهم كانوا يبذلون على هذه الصروح المقدسة تقرباً للعامة وكسباً لرضا الدهماء»^(٤) من سواد الشعب ولولا هذا التنافس لما توصلت هذه المباني إلى شكلها البديع»^(٥).

وبالنظر للأهمية السياسية والمكانة المعنوية لمدينة الحسين عليه السلام فقد انطلقت منها شرارة ثورة العشرين، واتخذ قادة

= السياسي لفيليب إيرلند: ٢٥٧، ويضيف الرهيمي: (وتعمد أن يتوافق يوم تتويجه مع ذكرى عيد الغدير).

(١) النفيسي: هو عبد الله بن فهد، باحث وكاتب كويتي معاصر، له كتاب «دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث» والكتاب هو رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة كمبردج عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ).

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٧٢.

(٣) الخياط: هو عبد الحميد كاتب عراقي من أسرة عرفت بالفضل والأدب سكنت بغداد.

(٤) الدهماء: بالفتح الجماعة من الناس.

(٥) تاريخ الروضة الحسينية المصور: ٥.

الثورة من كربلاء مركزاً للقيادة التي تمخض عنها استقلال العراق وتأسيس دولته الحديثة، وفيها صمم علم^(١) الإستقلال وشهدت المدينة مراسم رفع العلم للدولة العراقية الحديثة^(٢) لأول مرة فوق بناية السراي^(٣) في احتفال حاشد حضرته وفود من أنحاء العراق كافة وذلك في يوم الغدير من عام ١٣٣٨هـ^(٤).

هذا وقد صرح قادة الثورة الإسلامية في إيران مراراً بأنهم استلهموا مبادئ ثورتهم هذه من نهضة الإمام الحسين عليه السلام وقد لمست بنفسي ذلك حينما زرت السيد الخميني^(٥) في مقر إقامته المؤقت في باريس^(٦) في أوج

(١) يذكر بعض المهتمين بالشؤون الاجتماعية أن العلم العراقي الأول والذي كان يحتوي على أربعة ألوان الأبيض والأخضر والأسود والأحمر كان يرمز إلى الدول الإسلامية الكبرى التي حكمتها، والمهم أن الأخضر كان يرمز إلى دولة العلويين، وكان أيضاً يحتوي على نجمتين كل واحدة منهما لها سبعة شعاعات في إشارة إلى عدو المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام والذي قسم العراق يوم استقلاله إلى أربعة عشر لواء (محافظة) - المعد.

(٢) راجع تفصيل ذلك في فصل الحركة السياسية من باب اضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

(٣) السراي: فارسية تطلق على بناية الإدارة المحلية.

(٤) الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء: ٤، الثورة العراقية الكبرى: ٢١٢.

(٥) الخميني: هو روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي (١٣٢٠ - ١٤٠٩هـ) مرجع إمامي تولّى المرجعية من قم المقدسة بعد وفاة السيد حسين البروجردى عام ١٣٨٠هـ، قاد الثورة على النظام الملكي في إيران وأعلنها جمهورية إسلامية عام ١٣٩٩هـ له عدد من المؤلفات منها كتاب البيع، وله ديوان شعر.

(٦) كانت إقامته في إحدى الضواحي أو القرى القريبة من باريس تسمى بـ (نوفل لوشاتو) التي منها قاد الثورة ضد النظام الملكي في إيران.

أحداث الثورة فوجده قد التزم ختمة زيارة عاشوراء^(١) ولمدة أربعين يوماً طلباً بتعجيل النصر وإسقاط حكومة بهلوي.

وفي هذا السياق قد أعلنوا بأن عدد قتلى حادث تفجير مقر الحزب الجمهوري الإسلامي في طهران عام ١٤٠١هـ بلغ اثنين وسبعين^(٢) قتيلاً تيمناً بعدد ما اشتهر من قتلى الطف وما ذلك إلا لمكانة الإمام الحسين عليه السلام في نفوس الناس^(٣).

(١) ختم زيارة عاشوراء: شاع بين الإمامية ممارسة تلاوة زيارة عاشوراء الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام مدة أربعين يوماً، وتعد من الأمور المجربة التي تحظى بتأييد العلماء والمراجع - راجع: فصل الأعمال من باب الزيارات الحسينية من هذه الموسوعة.

(٢) ولا يخفى أن هذا العدد هو الشائع بين الناس وجرى ذكره على لسان الخطباء وأما الحقيقة فهو غير ذلك كما حققها المؤلف في معجم الأنصار من موسوعته الحسينية وقد ذكر المؤلف لعل عدد اثنين وسبعين هم من الهاشميين الذين استشهدوا في كربلاء بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام فتأمل - المعد.

(٣) وفي ختام الحديث عن الدور السياسي لهذه المراقدة لا بأس بالإشارة إلى أن أربعينية هذا العام والذي وفد إلى كربلاء المقدسة من جميع أنحاء العراق ملايين الوافدين ليظهروا للأميركان رفضهم الاحتلال، ولأن يوصلوا صوتهم إليهم بأنهم لا يرتضون إلا بقيام دولة إسلامية تأخذ منهجيتها من العلماء الأبرار - المعد.

وور المراقدر المقدسة في ترسيخ العلاقات بين الشعوب

إن المراقدر المقدسة في الجزيرة العربية والعراق وإيران ومصر وسوريا وفلسطين المغتصبة وبالذات في المدينة المنورة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية المشرفة ومشهد المقدسة وسامراء المشرفة ودمشق والقاهرة والقدس الشريف، كانت سبباً مباشراً في توثيق عرى الأخوة والمحبة بين الشعوب الإسلامية على اختلاف لغاتها وجنسياتها.

إن تدفق الملايين سنوياً لزيارة العتبات المقدسة وتوقف الكثير منهم في المدن المقدسة فترة طويلة بل وهجرتهم إليها أحياناً واستقرارهم الدائم فيها كان سبباً في توثيق أواصر العلاقة بين الشعوب الإسلامية وخلق وحدة تلقائية وواقعية وتكوين مجتمع إسلامي متسامح يألف بعضه البعض الآخر دون أدنى نزعة عصبية أو قومية.

وعندما استعمرت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى معظم بقاع العالم الإسلامي سعت إلى تمزيقه وشق وحدته وتقسيمه^(١) فأضحى عالمنا الإسلامي مجموعة من الدول

(١) كانت إتفاقية سايكس بيكو السرية التي عُقدت بين إنكلترا وفرنسا =

والإمارات المتنافرة^(١)، تتنازع حكوماتها على أتفه الأسباب وتختلق المبررات والأعذار الواهية في سبيل ذلك، فتشن الحروب الشرسة^(٢) وتغلق الحدود ويهلك الحرث والنسل وتُبدد ثروات المسلمين الإقتصادية التي أنعمها الله على تلك البلدان.

لقد واجه الإستعمار صعوبة ومشكلة كبيرة في فصل ارتباط هذه الشعوب وتقارب بعضها مع البعض الآخر، وما زالت هذه النقطة هي العقبة الأساس حتى يومنا هذا التي تقف عائقاً أمام تمرير الخطط والمؤامرات التي تحيكها الدول الكبرى للسيطرة على المنطقة باستمرار.

فكثيراً ما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين الدول الإسلامية كخطوة سلبية يقدم عليها الحاكم المسلم بتوجيه وضغط من دولة كبرى في أغلب الأحيان والحالات، ولكن تضطر هذه الحكومة وهذا الحاكم الإسلامي للتراجع أمام مد المطالبة الشعبية لإرجاع

= عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) أحد الأسباب المهمة في تمزيق الشرق الإسلامي وجعل أقطاره مقسمة النفوذ بين الدولتين فرنسا وإنكلترا وآثار تلك الإتفاقية باقية تشهد عليها حرب الحدود الجغرافية المستمرة بين دولها حتى كتابة هذه السطور إلى جانب معاهدات بين الدول الكبرى ساهمت في تمزيق بقية الأقطار الإسلامية.

(١) لقد ذكر المؤلف أكثر من عشرة أسباب خلفها المحتل في البلاد الإسلامية لتكون سبباً لعدم اتحاد شعوب المنطقة ليس فقط في تلك الفترات بل نستمر وإلى عقود وقرون، راجع المقدمة التمهيدية للعامل السياسي في نهضة الحسين - المعد.

(٢) الحرب بين العراق وإيران، نزاع الصحراء الغربية، النزاع الحدودي بين قطر والبحرين، إحتلال العراق للكويت، النزاع الحدودي بين اليمن والسعودية، إلى عشرات الأمثلة والشواهد الأخرى.

العلاقة بين الشعبين إلى سابق عهدها من القوة والمتانة التي أساسها التاريخ والدين والمصير المشترك الواحد.

لقد كان دور المراقد واضحاً ومؤثراً في تنمية وتعميق العلاقات بين الشعوب الإسلامية على اختلاف قومياتها ومشاربها، ولعلك ترى قوافل الزائرين تنطلق باتجاه المراقد بمجرد عودة العلاقات الدبلوماسية وفتح الحدود بين البلدين^(١)، وغالباً ما أدرجت في محاضر وأجندة الاجتماعات واللقاءات السياسية بين المتخاصمين كقضية مهمة وساخنة بل كمحور تفاوضي تستفيد منه الحكومات في تخفيف نسبة التوتر بين البلدين وتطبيع العلاقة بينهما^(٢).

فالعلاقة التاريخية بين شعبين مسلمين خاضا حرباً سابقة^(٣)

(١) على سبيل المثال ما نراه اليوم من قيام آلاف الزوار الإيرانيين وعلى شكل قوافل تزيد على ألف شخص يوماً بزيارة مرقد السيدة زينب عليها السلام والسيدة رقية عليها السلام وغيرها من الأماكن المقدسة الموجودة في سوريا رغم بعد المسافة ومشقتها، وقد خلفت هذه الزيارات أثراً إيجابياً في توطيد العلاقة بين الشعبين المسلمين السوري والإيراني، وهناك الكثير من القوافل تأتي من باكستان والهند والخليج وأفريقيا لزيارة المراقد في كربلاء والنجف والقاهرة ودمشق وسائر البقاع المقدسة المتناثرة في عالمنا الإسلامي كالأوتاد للخيمة.

(٢) راجع مجلة الموجز اللندنية العدد: ٨ / السنة: ٤ / التاريخ: كانون الأول ١٩٩٢م (١٤١٢هـ) الصفحة: ١٦، عن مجلة «كلمة» الطهرانية العدد: ١١ / التاريخ: تشرين الثاني ١٩٩٢م (١٤١٢هـ).

(٣) إن العلاقة بين الدولتين إيران والعراق اللتان تناوبت عليهما حكومات لا تحمل الود إحداها للآخرى كانت على الدوام بين مد وجزر، مما أثر سلباً على العلاقة التاريخية بين الشعبين المسلمين الإيراني والعراقي وكان للمراقد المقدسة دوماً الدور الحاسم في إعادة المياه إلى مجاريها وإعادة العلاقة =

وجنحنا إلى السلم سرعان ما تعود إلى قوتها ومتانتها بعد طول جفاء وخصام ويكون المرقد الطاهر النبع الصافي الذي يغرف منه الأخوة المتخاصمون أصول الرحمة والسلام والمحبة والأخوة، والمرشح الذي ينقي كل ما علق من خلاف ونزاع وضعينة سببتها سنين الحرب وأعوام النزاع العجاف.

= بينهما إلى سابق عهدها من القوة والمتانة ومرجع ذلك هو حب وولاء الشعبين وإخلاصهما لأصحاب المراقد المقدسة.

الدور الثقافي للمراقد

إن للثقافة مفهوماً عاماً حيث انها تحتضن مجموعة من الأمور، ولعل من أهمها: التعليم، الفكر، العلم، الأدب، الاعلام... فكل هذه الأمور منضوية تحت سقف الثقافة غايتها ومؤداها تنوير الإنسان الذي يشكل اللبنة الأساس للمجتمع، ولا يمكن الإستغناء عنها في مسيرة الحياة الفردية أو الإجتماعية.

فالتعليم يشكل أبجدية الثقافة إذ بدونه يستعصي على الإنسان إقتحام أغلب جوانب الثقافة، وللمراقد دور فاعل في تنشيط حركة التعليم وذلك لأن زيارة المراقد تُصنّف مرتبتها عند الامامية دون الواجب وفوق الإستحباب لإصرار أئمة المسلمين على ضرورة ممارستها ولو في أصعب الظروف كما اعتبروا تركها من الجفاء المقيت، وللزيارة طقوس متنوعة أهمها تلاوة نصوص معينة - تسمى الزيارة - في كل مناسبة، وقد حثت الروايات على تلاوتها فعندها يسعى الزائر إلى تعلم القراءة كحد أدنى - وبالأخص في تلك الحقبة الزمنية - ليتمكن من قراءة تلك النصوص اولاً، كما انه يسعى إلى فهم معانيها ثانياً، ليستوعب المقصود منها خضوعاً لنص بعض الزيارات

«عارفاً بحقك»^(١) والتي من سُبُلها استيعاب تلك الفضائل والأمور المتضمنة لها الزيارات، وبذلك يتجاوز المرء مرحلة الأمية ويعد في عداد المتعلمين، وعندها يشعر بحلاوتها فيتدرج في كسب العلم والمعرفة، ومن حركة الزيارة الدؤوب والمتواصلة طوال السنة في المناسبات الخاصة والعامة وتوافد الزائرين من أقطار العالم كافة نشأت حركة تعليم اللغة العربية أيضاً إلى جانب لغة الزائر.

وفي ظل أجواء التوافد هذه وبالأخص لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام والذي تعد مدينته من أكثر المدن المقدسة في العالم الإسلامي استقبالاً للزوار حيث ذكرت بعض المصادر الخيرية الرسمية أن عدد الزائرين الذين أمّوا مدينة الحسين عليه السلام في موسم الأربعين^(٢) من شهر صفر لعام ١٤١٧هـ بلغت سبعة ملايين زائر^(٣)

(١) بحار الأنوار: ٢٩٣/٩٧ عن المزار الكبير: ١٧٢.

(٢) في هذه السنة حين أزيح نظام صدام حسين وفد إلى كربلاء في هذه المناسبة من داخل العراق أكثر من خمسة ملايين زائر كما ورد في تقرير مراسلي قناة المنار اللبنانية، ولو لم تكن الحدود العراقية مغلقة بوجه المسلمين بالإضافة إلى عدم استقرار الوضع الأمني لوفد إلى كربلاء ضعف هذا العدد - المعد.

(٣) صحيفة بدر الصادرة في طهران العدد: ٢٤٩ الصفحة: ٦ التاريخ: ١٥/٣/١٤١٨هـ = ٢١/٧/١٩٩٧م، وقد نقل لي بعض الثقات أنه سمع هذه الإحصائية من إذاعة مونت كارلو أو بي بي سي بتاريخ ٨/٧/١٩٩٦م (٢١/٢/١٤١٧هـ) وقد اتصلنا بكلتا الإذاعتين للتأكد من النبأ وتاريخه إلا أن المسؤولين ذكروا لنا بأنهم لا يحتفظون بالأخبار لمدة طويلة. وقد جاء في صحيفة الشاهد اللندنية الصادرة في شهر محرم عام ١٤١٨هـ الصفحة: ٣ «أن عدد الزائرين لمرقده الشريف بلغ في عام ١٤١٧هـ حوالى ٦,٣٠٠ مليون زائر».

من كافة الأصقاع، ومن شأن هذا النشاط والحركة على طول التاريخ أن تتبلور فيه الثقافات وتلتقي الحضارات فتولد في ظلها حركة فكرية كتعبير لازم وأثر حتمي لهذه الحالة، وبالفعل فقد نشأت وترعرعت مجموعة من المذاهب الفكرية التي كان لها دور هام في تغيير المسار الفكري والعلمي في فترات زمنية مختلفة، ومن تلك الحركات الفكرية التي كانت لها صولات وجولات في هذه المدينة بالذات الحركة الاخبارية بقسميها^(١) على سبيل المثال لا الحصر، والحركة الأصولية^(٢) التي لها الفضل في وضع الأسس المتينة في الفقه الإمامي إلى جانب الحركات السياسية والعقائدية التي تم ذكر جانب منها لدى البحث عن مدينة الحسين عليه السلام^(٣).

ومن حتميات النهضة الفكرية الشاملة ولادة الحركة العلمية، وبالفعل فقد شهدت هذه المدينة العريقة والأصيلة حماسة علمية دؤوب ومتنامية قلما تضاهيها مدينة أخرى.

فمنذ القرن الأول وفي ظل هجرة كبار الرواة والعلماء إلى جوار مرقد سبط الرسول الأعظم عليه السلام الإمام الحسين عليه السلام أخذت المدينة تبني دعائمها العلمية وشهدت القرون التالية ظهورها

(١) الاخبارية على قسمين الجمالية والبحرانية، راجع فصل النهضة الفكرية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

(٢) الأصولية: نسبة إلى الأصول أي القواعد، حيث وضع لعملية الاستنباط بعض الضوابط حتى تكون النتائج سليمة، وقد أخذ أسسها من أئمة أهل البيت عليهم السلام - المعد.

(٣) راجع باب أضواء على مدينة الحسين، فصل النهضة الفكرية من هذه الموسوعة.

كمدينة علمية بارزة ومرموقة تبوأَت جامعتها العلمية مكانة سامية، ولكنها كانت تخضع دوماً لعملية المد والعجز نتيجة الوضع السياسي الذي أصابت آثاره مجمل البقاع المقدسة بشكل عام وهذه المدينة بشكل خاص.

ووضعت نواة هذه النهضة العلمية في مبنى المرقد الشريف للإمام الحسين عليه السلام فازدحم العلماء والرواة وأصحاب القلم والفكر وأحاطوا بالروضة المباركة مستغلين الغرف المحيطة بها والأروقة المشيدة حولها حتى عَجَّ الصحن الشريف بالدارسين والأساتذة من أصحاب العلم والفكر مما حدا بالسلطان عضد الدولة^(١) إلى تأسيس مدرسة علمية^(٢) لاستيعاب هذا النشاط العلمي وذلك لأول مرة في تاريخ العراق على الإطلاق وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري.

ومنذ قرونها الأولى خرَّجت جامعة هذه المدينة المقدسة مئات العلماء والمفكرين وعشرات المراجع^(٣)، وزخرت مكتبتها العلمية بألوف المؤلفات^(٤) التي صنفها وألفها خريجو هذه الجامعة في شتى صنوف العلم والمعرفة والتي على أثرها ازدهرت

(١) عضد الدولة: هو فناخسرو بن الحسن البويهري الديلمي خامس السلاطين البويهيين حكم ما بين (٣٦٦ - ٣٧٢هـ).

(٢) لقد أنشأ عضد الدولة البويهري مدرستين عرفت الأولى بالمدرسة العضدية الأولى وذلك عام ٣٦٧هـ، والثانية عرفت بالمدرسة العضدية الثانية عام ٣٧١هـ، راجع باب أضواء على مدينة الحسين، فصل النهضة العلمية، راجع أيضاً مجلة الحوزة القمية.

(٣) راجع باب مدينة الحسين، فصل النهضة العلمية من هذه الموسوعة.

(٤) راجع باب مدينة الحسين، فصل النهضة الثقافية من هذه الموسوعة.

حركة الكتابة والخط في عموم المنطقة، وشهدت أرضها المقدسة إنشاء أول مطبعة في العراق^(١).

وبعد القرنان الثاني عشر والثالث عشر الهجريان العصر الذهبي لمدينة الحسين عليه السلام من بين القرون من الناحية العلمية والفكرية، ولم تقتصر النهضة العلمية في هذه الجامعة على علوم الفقه والحديث والأصول بل شملت العلوم العقلية والنقلية كافة الإسلامية منها والعربية إلى جانب علوم الطبيعة والفلك والطب وغيرها، وكان للمرأة دور بارز في تداول العلوم الإسلامية والعربية حيث ارتقت إلى مصاف العلماء الأعلام وحاز عدد منهم مكانة علمية سامية كما سبقت الإشارة إليه في محله^(٢).

ومن الخلق بيانه أن هذه المراكز تعتبر مركزاً للإلهام ومنهلاً للعلم ولذا نجد أن كل المراكز المنتسبة إلى أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله تحاط بمجموعة كبيرة من حملة العلم والفكر والأدب وفيها صروح للعلم بدءاً بمركز المدينة المنورة والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية المشرفة ومشهد المقدسة وسامراء المشرفة وحي السيدة زينب في دمشق والقاهرة وقم المقدسة والسيد عبد العظيم في الري إلى غيرها^(٣)، مما يدلنا على أن هذه المراكز تستقطب العلماء والمفكرين والأدباء وتخلق من وجودهم مراكز للعلم والفكر والأدب.

(١) راجع قسم المؤلفات الكربلائية من فصل النهضة الثقافية من هذه الموسوعة.

(٢) راجع باب أضواء على مدينة الحسين، فصل النهضة العلمية.

(٣) راجع فصل المراكز العلمية من قسم التشريع من باب الحسين والتشريع الإسلامي.

ولا يخفى أن المركز العلمي يؤلّد طبقة لها اهتماماتها بالأدب بشكل عام وبالشعر بشكل خاص يوازي الحركة العلمية ويواكبها، وهذا ما نشاهده في المراكز العلمية كافة، فكلما زادت الحركة العلمية تألقاً زادت معها الحركة الأدبية نشاطاً واضطراباً، ولكن الذي يميز مرقد الإمام الحسين عليه السلام عن غيره من مراقد أهل البيت عليهم السلام أن الإمام الحسين عليه السلام بحد ذاته أصبح رافداً زاهراً ومنهلاً ثراً للأدب ونظم الشعر وأصبح مرقد الشريف مهوى للعشاق ومركزاً للإشعاع الأدبي الفريد من نوعه يغرف منه القريب المجاور وينهل منه البعيد الزائر، وقد تطرقنا إلى ذلك في محله ^(١).

وأيضاً ومن خلال ما قدمناه من أدوار يظهر جلياً الدور الإعلامي لهذه المراقد المقدسة إذ تعتبر مركزاً للتلاقي والإنبعاث من جديد، وبما تحمله مواسم الزيارة من مقومات حقيقية للاعلام فقد استغل العلماء والمفكرون والأحرار هذا التجمع الحاشد في تلك المواسم كنقطة انطلاق لنشر الفكر الإسلامي ومبادئه، وقد شاهدت بنفسي الحركة الإعلامية في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري وكيف كانت الكتيبات والمنشورات بل الكتب الفكرية والعقائدية توزع باللغات الشرقية والغربية في مدينة الحسين عليه السلام بينما كان الخطباء ينتهزون هذه الفرصة لإلقاء المحاضرات والخطب الهادفة على الجماهير بالإضافة إلى التجمعات والمؤتمرات التي كانت تقام في رحاب المرقد الحسيني

(١) راجع باب أضواء على مدينة الحسين فصل الحركة الأدبية، وباب الشعر (الشرقي والغربي) من الموسوعة هذه.

وغيره من المراقدين الشريفة، ومن الجدير بيانه أن أولى الصحف الوطنية صدرت من كربلاء والنجف في قبال الصحف التي أصدرتها حكومة الإحتلال البريطاني والجيش العثماني من بغداد والبصرة^(١).

(١) راجع فصل الحركة الثقافية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

الدور الديني للمراقدة

غير خفيّة آثار ومعالـم هذه الناحية على أحد، إذ أن الظاهرة الدينية في المجتمعات الإسلامية التي فيها مراقدة الأئمة عليهم السلام تطغى على غيرها من الظواهر بشكل واضح وظاهر للعيان فتصبغ التعاملات والسلوكيات والعلاقات الإنسانية بطابع ديني لا سبيل لإنكاره.

ويبدو واضحاً أن الدافع الديني والرغبة في بناء مجتمع فاضل كان الدافع الأساس لهجرة الناس وسكنهم بجوار المراقدة، ولعل بناء وتشيد حاضرة مدينة كربلاء المقدسة المثل الصادق لما نقول.

وقد ترتب على ضوء التزام أبناء هذه المدينة المقدسة وانقيادهم طوعية لأحكام وقواعد هذه الظاهرة منافع جمّة: أهمها أن الصفة الغالبة للعلاقة الإجتماعية والأسرية التي تربطهم هي الحب والود والرحمة والتسامح والسلام وهي أخلاق وشمائل جاهد صاحب هذه البقعة الشريفة وبذل النفس من أجل ترسيخها وزرعها في النفوس، حيث تختفي النزاعات والمشاكل الإجتماعية بينهم إلى حد بعيد وأصبح من النادر مراجعتهم السلطات القضائية لحل نزاعاتهم وشكاواهم بل يميلون للذهاب إلى علمائهم

وكبارهم لفصل الخصومات وللتحكيم، وعلى هذا الأساس يشير النفيسي إلى ما لمرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام من دور عظيم في حل الخصومة والنزاع فيقول: «ولهذه المقامات المقدسة حرمتها القضائية إذ أن القاضي الشرعي لا يقبل القسم إذا كان حلّ الدعوى يتطلب القسم»^(١) إلا أن يكون داخل الحرم لأنه أوقع في النفس وأقرب إلى الواقع» ويضيف قائلاً: «وأصبحت المراقد وقبور الأئمة والأولياء، مراكز يقسم بحرمتها في جميع أنحاء الفرات الأوسط والأسفل... وأهم المراقد حرمة مرقد العباس بن علي في كربلاء»^(٢)، والعباس عندهم رجل شديد الغيرة يقولون عنه بلغتهم - رأسه حار - ويريدون بذلك أنه لا يتغاضى عن إثم رجل يستعمل اسمه في قسم كاذب»^(٣).

هذه الفكرة وهذه القدسية بحد ذاتها تساعد على خلق وإشاعة جو روحي بين الناس بعيد عن الكذب والنفاق فيسلم الناس وتتحصن علاقتهم الاجتماعية من فتك مرض إجتماعي خطير فيعيشون حياتهم بعيداً عن أجواء المحاكم والعقوبات^(٤) وما تجره من تبعات

(١) القسم: الحلف - المعد.

(٢) مما تجدر الإشارة إليه أنه ورد في مذكرات حردان التكريتي: ١٤ أن أحمد حسن البكر الرئيس العراقي الأسبق وحردان التكريتي رئيس القوات المسلحة في عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) اتفقا على الحلف عند مرقد سيدنا العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام على أن لا يخون أحدهما الآخر، ولكن ليس للظالمين وفاء - المعد.

(٣) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٧٢ - ٧٥.

(٤) قامت السلطات العراقية عدة مرات وعلى فترات زمنية متفاوتة باستصدار قوانين تعاقب الناس وتمنعهم من ممارسة الفعاليات الدينية والعشائرية.

ومشاكل، ويؤمنون على أموالهم وأنفسهم بنسبة كبيرة بالقياس مع بقية المدن الأخرى وتلك التي لا تعتقد بذلك.

ويقول النفيسي في محل آخر: «لا يستطيع امرؤ خارج نطاق الشيعة أن ينكر ما لهذه المراقد المقدسة من خير ونفع ولا سيما لدى المحاكم الشرعية التي تلجأ أحياناً في فض الخصومات والدعاوى إلى القسم في إحداها لتجريم المذنب أو لتبرئة البريء. إن انتشار هذه المراقد عامل استقرار في حقل الإتفاقات التجارية والمعاهدات القبلية ويخلق جواً من الثقة المتبادلة في حقل العلاقات الإجتماعية»^(١).

ويكاد ينعدم في مثل هذه المجتمعات الدينية المحافظة أي أثر للمنكرات والمفاسد والصراعات والآفات الإجتماعية بشتى صورها، فالمواد الكحولية مثلاً ونوادي الفساد الليلية معدومة ومحظورة عرفاً وقانوناً في مثل هذه المدن المقدسة على رغم سعي بعض الأنظمة الحاكمة لتغيير هذه المجتمعات المحافظة والملتزمة بمعتقداتها وتحويلها إلى مجتمعات مهزوزة ومفككة، وذلك بذرائع مختلفة ووسائل متنوعة، وعلى سبيل المثال أقدمت السلطات العراقية في نهاية القرن الرابع عشر الهجري على استقدام الأيدي العاملة من بلدان عدة^(٢) إلى مدينة كربلاء بشكل

(١) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث: ٧٥.

(٢) أقدمت السلطات العراقية في نهاية السبعينيات من القرن العشرين الميلادي على استقدام الأيدي العاملة للعراق من مصر والهند وجنوب شرق آسيا وعدة بلدان أخرى، وقدر عددهم بخمسة ملايين عامل، في بلد لا يتجاوز عدد سكانه خمسة عشر مليون عراقي!.

لا يتناسب ومكانة هذه المدينة المقدسة وقدرتها واستيعابها وطبيعة جوها الفكري والديني المحافظ، وإيغالاً في التخريب فقد أنشأت مراكز وبؤر فساد على بحيرة الرزازة القريبة من المدينة بغرض نزع واقتلاع الصفة الدينية والثقافية المحافظة لأبناء هذه المدينة وخاصة الشباب منهم، وحاولت السلطة الحكومية تدنيس المدينة عبر إرسالها الوفود النسائية السافرة والخليعة لخلق جو من الميوعة والإستهتار والفساد وإسقاط هيبة وحرمة المدينة^(١)، إلا أن الفشل كان حليفها على الدوام^(٢).

إن المجتمعات الدينية التي خلقتها هذه المراقد كما اسلفنا لها ميزاتها الحسنة التي يشعر فيها الإنسان بالراحة والطمأنينة والأمان بعيداً عن القلق والرعب.

لقد كان للمرقدين العلوي والحسيني أثره البالغ والعميق في تشييع جنوب العراق وزرع بذوره وأنواره في المنطقة وفي هذا الصدد يقول حنا بطاطو^(٣) «قبل قرابة ألف سنة خلت كان أبو بكر

(١) ومن الجدير ذكره أن المؤلف حفظه الله شكّل في عهد عبد السلام عارف ١٣٨٣ - ١٣٨٦ هـ مع عدد من زملائه لجنة لمكافحة المنكرات التي أشيعت بسبب تشجيع النظام لها، وكان يقوم المؤلف بنفسه مع زملائه بدوريات يجوب مختلف أحياء المدينة - المعد.

(٢) جدير بالذكر أن علماء مدينة كربلاء المقدسة قاموا في حينها بتشكيل لجنة من أبناء المدينة مهمتها المحافظة على قدسية المدينة ومراعاة التقاليد الإسلامية والوقوف أمام هذا التيار السافر.

(٣) حنا بطاطو: باحث فلسطيني ولد في الضفة الغربية من فلسطين عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩م) نشأ وترعرع فيها أكمل دراسته الجامعية الأولية في الجامعة الأمريكية في بيروت، بُعث في العام ١٩٥٢م لإعداد كتابه عن العراق، هاجر إلى أمريكا لإكمال دراسته، يعمل الآن رئيساً لقسم الدراسات العربية في جامعة جورج تاون الأمريكية، له كتاب الطبقات الاجتماعية.

الخوارزمي^(١) قد حسد شعب العراق لأنه كما قال يوجد بينهم مقاما أمير المؤمنين عليه السلام والحسين سيد الشهداء عليه السلام^(٢) وفي تلك الأيام لم يكن اسم العراق يشير إلى حدود العراق اليوم بل فقط إلى ذلك الجزء من جنوب الخط الذي بين الأنبار^(٣) على الفرات وتكريت^(٤) على دجلة، أي أن عراق تلك الأيام كان يتطابق مع ما هو موطن الشيعة وكان قلب الطائفة يومها - كما هو اليوم - في الفرات الأوسط، وفي كربلاء سفك في العام ٦٨٠م دم الحسين البذرة الحقيقية - للعقيدة الشيعية -^(٥) إضافة إلى قوة الإستمرارية التي هي طبيعة الأديان، وخصوصاً المضطهدة، فإن أحد العوامل الواضحة التي ضمنت ديمومة النفوذ الشيعي كان وجود المقامات الشيعية في النجف وكربلاء^(٦).

-
- (١) أبو بكر الخوارزمي: هو محمد بن عباس: الكاتب واللغوي والأديب والرحالة فخر خوارزم وصاحب الرسالة المشهورة (ت ٣٩٣هـ).
- (٢) الرسائل لأبي بكر الخوارزمي: ٤٥.
- (٣) الأنبار: بلدة تقع إلى الشمال الغربي من بغداد وتبعد عنها حوالي ١١٠ كلم.
- (٤) تكريت: مدينة في شمال غرب العراق على الشاطئ الأيمن لنهر دجلة مركز محافظة صلاح الدين هدمها تيمورلنك عام ٧٩٧هـ كانت كرسياً أسقفاً للسران.
- (٥) جاء في المصدر: «البذرة الحقيقية للشيعة الدينية»، وارتأينا التصرف بالعبارة وجعلها للعقيدة الشيعية. لأن عبارة المصدر لا تعطي المعنى المقصود بدقة.
- (٦) العراق: ٥٩.

الدور الإقتصادي للمراقر

إن وجود المشاهد المقدسة في أي بقعة من بقاع العالم سواء أكانت نسبتها حقيقية أم لا يعتبر مورداً إقتصادياً ومالياً مهماً من موارد الدولة التي تتولى إدارة شؤون تلك البقعة المباركة، حيث تنشط المنطقة اقتصادياً وعلى مدار السنة، ويشد النشاط وتضعد وتيرته في المناسبات التي تخص صاحب البقعة المباركة من ذكرى ولادته ووفاته أو استشهاده أو في المناسبات العامة كالأعياد وغيرها.

إذ يتدفق مئات الألوف من الزوار إلى هذه البقاع المشرفة لقضاء فترة الذكرى فيها طلباً للبركة والدعاء والزيارة، وبما أنها مناسبة جليلة وعظيمة في قلب ووجدان الزوار فإنهم يبذلون فيها المال بسخاء وكرم فتزدهر البقعة بالفنادق والأسواق والمطاعم والمصارف والمكاتب السياحية وكل ما من شأنه تسهيل أمور الزائرين والسياح، ولا يخفى أن الإنسان ميال بطبعه إلى الإسراف في سفراته ورحلاته أكثر مما اعتاد عليه في بلده ومحل استقراره الدائم، وجدير بالقول ان المسلمين عامة وشيعة اهل البيت عليه السلام بالذات تتضاعف معهم هذه الحالة أضعافاً مضاعفة لاعتقادهم وإيمانهم بأن الكرم والعطاء وإبداء

المساعدة والإشتراك في أعمال الخير والإنفاق على الشعائر الإسلامية وتعمير البقاع المقدسة وإحياء المناسبات الدينية هي اتباع عملي لسيرة أئمتهم عليهم السلام بل ويعتبرونها من أعمال البر والإنفاق في سبيل الله التي تسبب نماء أموالهم وموجبة لبركتها، كما وردت بذلك الأحاديث والروايات المنقولة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام، فينفقون من أحسن ما يملكون عملاً بالآية الكريمة ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾^(١).

وعلى ضوء هذا المعتقد فاننا نلاحظ أن صرف الأموال في هذا المجال يجري بسخاء لا مثيل له.

هذا بالإضافة إلى أمور وعوامل ثانوية أخرى من شأنها تنشيط الإقتصاد والتجارة ومبادلة السلع والبضائع بين الزائر والمقيم، واعتبار الزيارة مناسبة جيدة وعفوية لعقد صفقات وعقود تجارية، ويدلنا على ذلك ما أوردته بعض الصحف العالمية والمحلية عن النشاط والحركة الإقتصادية التي تحدثها فريضة الحج ومردوداتها الإيجابية على الإقتصاد في المملكة العربية السعودية، حيث أذكر اني طالعت إحدى الصحف المحلية التي غاب عني اسمها في سفرة عام ١٣٩٤هـ إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج إذ ورد فيها ان ما تكسبه المملكة العربية السعودية من موسم الحج أضعاف ما تكسبه من بيعها للنفط ومشتقاته وذلك قبل فورة النفط وارتفاع أسعاره، كما أن اقتصاد الجزيرة العربية كان يعتمد في السابق على هذا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

وما نحن بصددّه في هذا الموسوعة هو بيان بعض الآثار الاقتصادية للمزارات المرتبطة بالنهضة الحسينية من قريب أو بعيد وعلى رأسها مرقد الإمام الحسين عليه السلام^(٢)، حيث ان المناسبات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام تعد بحوالى عشر مناسبات^(٣) على مدار السنة وفي مقدمتها زيارة الأربعين التي تتجاوز القمة في العدد، إذ جاء في إحصاء للسنوات ما بين (١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ) ان معدل الزائرين لمرقد الإمام الحسين عليه السلام في كل سنة وخلال موسم زيارة الأربعين فقط يتجاوز المليون زائر من داخل العراق وخارجه^(٤) والذي تتحول بموجبه مدينة كربلاء المقدسة

(١) جاء في تاريخ كربلاء والحائر: ١٤٧ «يتراوح عدد الزائرين لكربلاء في هذه الزيارة - الأربعين - بين نصف المليون وثلاثة أرباع المليون وقد بلغ هذا المبلغ الأخير في عام ١٣٦٥هـ كما أحصتها جريدة الأخبار البغدادية بعددها ١٥٤٦ المؤرخ يوم الأحد ٢٣ صفر ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦/١/٢٧م تحت عنوان «يوم الأربعين في كربلاء» وهو عدد جسيم لم يبلغ ثلثه عدد حجاج بيت الله الحرام في السنوات التي يكثر فيها الحجاج.

(٢) جاء في مجلة لغة العرب البغدادية العدد: ٥، السنة السابعة، الصفحة: ٤٣٢، التاريخ: آيار ١٩٢٩م نقلاً عن صحيفة إيران الطهرانية ان عدد الزائرين الإيرانيين يعد بـ (١٥٠) ألف زائر خلال سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م).

(٣) زيارة أول رجب ونصفه والنصف من شعبان وليالي القدر وعيد الفطر والأضحى ويوم عرفة ويوم عاشوراء وأربعين الإمام الحسين عليه السلام - راجع باب الزيارات الحسينية من هذه الموسوعة -.

(٤) إذا كان المفروض أن الزائر الواحد يصرف ديناراً واحداً للسكن والمأكل وسائر المشتريات الأخرى لبلغ إجمالي الصرف أكثر من مليون دينار عراقي، وإذا علمنا أن قيمة صرف الدينار العراقي في حينها كانت تعادل أكثر من ثلاثة دولارات فان المبلغ لا يستهان به وله قيمة اقتصادية كبيرة.

بما فيها من أبنية عامة وساحات وطرق وحدائق إلى فنادق لهؤلاء الزوار بل وكانت الفنادق في المدن والنواحي القريبة تكتظ بالزوار، وعلى ضوء هذه الحالة الإستثنائية تسقط بعض الإعتبارات والقيود المرتبطة بحياة الزائر الطبيعية وما اعتاده من سكن ومأكل، وتتحول الكثير من المحال والساحات العامة بصورة طارئة واستثنائية إلى مطاعم ودور استراحة لتوفر الخدمة العاجلة لهذا العدد الهائل من الزوار والوافدين، وأخيراً نقل لي بعض الثقات الذي حضر موسم الأربعين عام ١٤١٧هـ إلى أن الإحصاءات الرسمية ذكرت أن عدد الزائرين بلغ سبعة ملايين كما بلغ عدد الزائرين في ليالي الجمعة في أيام الموسم ثلاثة ملايين زائر، وتأكيداً لهذا الخبر ذكر أن عدد زوار كربلاء المقدسة في النصف من شعبان لعام ١٤١٧هـ بلغ ما يقارب الـ ٨ ملايين زائر قصدوا زيارة الإمام الحسين من داخل العراق وخارجه^(١).

ونتيجة لتزايد عدد الزوار الأجانب الذين يقصدون زيارة

(١) نقل عن بعض الثقات الذين زاروا كربلاء خلال الموسم حيث اشتهر بين الأوساط الشعبية هناك، ولا غرابة في ذلك بعدما سبق وذكرنا بأن عدد زوار مرقد الإمام الحسين بلغ حوالى الـ ٧ ملايين زائر في موسم الأربعين الذي يعد موسماً محلياً بينما يعد موسم زيارة النصف من شعبان موسماً عالمياً لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وفي إحصاء غير رسمي ورد في صحيفة شاهد اللندنية: ٣، الصادرة في محرم ١٤١٨هـ نقلاً عن صحيفة (رضا كار) ذكرت: ان عدد زوار مرقد الإمام الحسين عليه السلام بلغ حوالى ستة ملايين وثلثمائة ألف زائر، وفي تاريخه عزاداري حسيني: المطبوع عام ١٣٩٩هـ: ٢٧٢ عن تعليقات على كتاب نهضة الحسين: ١٦٢ لابن المؤلف (يوم كربلاء في المناسبات كل يوم أكثر من مليون زائر).

العتبات المقدسة في العراق فقد وجدت الحكومة العراقية التي تعاني من ضائقة مالية نتيجة سنوات الحصار^(١) الفرصة مؤاتية لفرض رسوم عالية على الزائرين نذكر منها :

٥٠ دولاراً قيمة رسم الدخول.

٥٠ دولاراً قيمة فحص الدم.

٥٠ دولاراً رسم باسم المصرف المركزي.

بالإضافة إلى أن السلطات الحكومية فرضت على كل زائر أن يصرف يومياً كحد أدنى مبلغ ٥ دولارات بالسعر الرسمي^{(٢)(٣)}.

وفيما يخص زيارة السيدة زينب عليها السلام ومردوداته الإقتصادية على الإقتصاد السوري يقول مقلد^(٤) : «إن عشرات ألوف الزوار من مختلف العالم الإسلامي القريب والبعيد تأتي إلى الشام

(١) الحصار: هو الذي فرض على العراق اثر هزيمته في حرب الخليج الثانية عام ١٤١٢هـ، وبموجب قرار مجلس الأمن الدولي المرقم ٦٨٧ والذي ما زال مفروضاً عليه حتى كتابة هذه السطور.

(٢) نقلاً عن عدد من مسلمي بريطانيا الذين زاروا مرقد الإمام الحسين عليه السلام في المناسبات.

(٣) هذا وقد أعلنت الحكومة العراقية في شهر ربيع الأول (آب) أن اتفاقية أبرمت مع الحكومة الإيرانية باستقبال عدد كبير من الزوار الإيرانيين أسبوعياً وذلك من يوم ١٩٩٧/٩/٤م. الموافق لـ ١٤١٨/٥/١هـ، كما استقبلت قوافل الزوار الأذربيجانيين من يوم ١٩٩٧/٩/٣م حسب الإذاعات والمحطات الفضائية.

(٤) المقلد: هو محمد بن يوسف، كاتب سوري، كتب المقال تحت عنوان السيدة زينب عليها السلام رمز الوحدة الروحية بين الاقطار الاسلامية، كتبه بمناسبة اهداء الضريح الفضي لمرقد السيدة زينب عليها السلام عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م).

بمناسبة شعبان وغيرها من المناسبات التاريخية لتزور مقام السيدة زينب عليها السلام، وتستفيد العاصمة السورية بمئات ألوف الليرات^(١) التي تعزز الدخل القومي بأرقام غير بسيطة^(٢) وفي هذا المجال صرح مسؤول سوري رفيع المستوى لإحدى القنوات التلفزيونية العربية ما مضمونه ان واردات سوريا من خلال السياحة بلغت مليار دولار، إذ زار سوريا في عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) ٢,١٠٠,٠٠٠ مليون سائح بينهم ١,٥٠٠,٠٠٠ مليون سائح عربي^(٣) ومن الجدير ذكره ان أغلب السائحين العرب وآلاف الزوار المسلمين الشيعة إنما يقصدون سوريا بغرض زيارة العتبات المقدسة الموجودة فيها^(٤).

وخلال السنوات الأخيرة نظمت قوافل أسبوعية على مدار السنة من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وكذلك من باكستان ولبنان إلى جانب القوافل المتجهة في المناسبات من بريطانيا إلى زيارة العتبات المقدسة في العراق وبالذات كربلاء المقدسة بالإضافة إلى الرحلات المستمرة والمتواصلة التي يقوم بها الشيعة الامامية إليها من كافة أنحاء المعمورة.

(١) ومما يؤيد ما أورده الأستاذ مقلد: إنني شاهدت في الصيف الماضي أن الشقق المتواجدة في منطقة السيدة زينب عليها السلام يرتفع ثمن أجرتها أيام الموسم لتكاثر الزائرين من خمسة آلاف ليرة سورية في الشهر الواحد إلى خمسة آلاف ليرة سورية في الليلة الواحدة - المعد.

(٢) مجلة الموسم التي تصدر في هولندا العدد: ٤/ السنة: ٨/ التاريخ: ١٤٠٩/ الصفحة: ٩١٢.

(٣) قناة الشرق الأوسط الفضائية (MBC) بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٩٦م الموافق لـ ١٦/٨/١٤١٧هـ.

(٤) مرقد السيدة زينب عليها السلام، مرقد السيدة رقية عليها السلام وعشرات المراقد الأخرى.

كما يقوم آلاف الإيرانيين بالسفر إلى المراكد المقدسة في سوريا في رحلات نصف شهرية منتظمة مضافاً إلى قوافل اللبنانيين المتجهة في المناسبات الدينية إلى حي السيدة زينب عليها السلام بدمشق.

وهناك عدد هائل من شيعة الخليج يتجه في صيف كل عام إلى كل من سوريا وإيران ومصر ليقضوا أيام الصيف بجوار تلك العتبات المقدسة.

ولا تتوفر لدينا إحصاءات إقتصادية شاملة ودقيقة لكل المقامات وذلك لعدم قيام جهة رسمية أو شبه رسمية بإحصاء إقتصادي تتوفر فيه الدقة والأمانة هذا إذا كان هناك إحصاء.

وهناك جانب إقتصادي آخر له أهميته خاص بالندورات والأضاحي والهدايا التي يهبها أو ينذرها الزائر للمشاهد المقدسة، إذ يذهب ويخصص أغلب ريعها إلى الجهة الإدارية القائمة على المشهد سواء أكانت رسمية أو أهلية، أما الجزء الباقي فيعود مردوده إلى الفقراء والمعوزين وذوي الحاجة وباقي موظفي المشهد بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وحول أن زيارة العتبات يعد مورداً إقتصادياً يعلق العلوي على اتفاقية الدولة العثمانية والدولة الإيرانية بهذا الشأن فيقول: «كانت مشكلة الزوار الإيرانيين قد نوقشت في مفاوضات بين الدولة الإيرانية والدولة العثمانية ونصت معاهدتا ارضروم الأولى عام ١٢٣٨هـ (١٨٢٣م) والثانية عام ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م) على تعهد الجانب التركي بعدم التعرض لإيذاء الزوار الإيرانيين الذين يقصدون العراق.

ومن الطريف أن مدحت باشا الذي كان يحرص على إقامة علاقة تفاهم مع الدولة الإيرانية قد وجه الدعوة إلى الملك

الإيراني^(١) لزيارة العتبات على حساب حكومة الوالي، فدخل الملك العراق ومعه عشرون ألف زائر كان ستة آلاف منهم من مرافقيه الخاصين واستمرت الزيارة ثلاثة أشهر كلفت خزينة العراق ثلاثين ألف ليرة عثمانية^(٢)، لكن مدحت باشا من جانب آخر ومقابل هذه الخسائر توصل مع الملك إلى عقد اتفاقية تناولت مشكلة الزوار الإيرانيين وقضية دفن الموتى، وأخفق اقتراح مدحت باشا في أن تستغل مجوهرات النجف المدفونة تحت الأرض - بسبب الخشية من هجوم الوهابيين عليها أسوة بما فعلوا في هجومهم على كربلاء ونهب المجوهرات والتحف الثمينة من ضريح الإمام الحسين عليه السلام وقدرت قيمة مجوهرات النجف بثلاثمائة ألف ليرة عثمانية - لصالح الحجاج الإيرانيين القادمين للزيارة، بأن يمد خط حديدي بين إيران والنجف، أو لإنشاء مستشفيات وملاجئ وخانات على طول طريق الزوار إلى العتبات المقدسة، فلم يتم الاتفاق على هذه المقترحات وأعيدت الكنوز إلى مكانها^(٣).

وجدير بالإشارة أنه لولا الأثر الإقتصادي الفعال الذي ستخلفه زيارة ملك إيران إلى العتبات المقدسة إضافة إلى الأبعاد والجوانب السياسية الأخرى المتوخاة من الزيارة لما قام والي العراق (مدحت باشا) بهذا الإهتمام وهذه الحفاوة والكرم اللذين استقبل بهما الملك

(١) الملك الإيراني: هو ناصر الدين أحمد بن محمد الثاني القاجاري، رابع السلاطين القاجارية في إيران حكم ما بين (١٢٦٤ - ١٣١٣هـ).

(٢) الليرة العثمانية (الليرة التركية) بديء بضرب الليرة التركية عام ١٢٦٢هـ وسميت مجيدي، وتسمى أيضاً إيزليك، وهي عملة ذهبية مقسمة إلى مائة قرش، وتزن ١١١,٣٧ حقة كما في الموسوعة العربية: ١٥٩٤.

(٣) الشيعة والدولة القومية في العراق: ٣٣١ بتصرف.

الإيراني، حيث توقع الوالي جني ثمار الزيارة حينما يشرع ألوف المؤمنين الإيرانيين بزيارة الأماكن المقدسة في العراق.

وجاء في تقرير بطي^(١) حول منع الحكومة الإيرانية مواطنيها عن زيارة العتبات المقدسة لأسباب سياسية وذلك عام ١٣٤٧هـ «وكان العراق يكسب من الإيرانيين^(٢) الذين يحجون كل سنة إلى المراقد المقدسة الموجودة في العراق فكان يبلغ عددهم في بعض السنوات مائة ألف زائر إيراني ينفقون مدة إقامتهم في البلاد العراقية أموالاً ويتاعون من أسواقها بضاعات مختلفة فتحصل في هذه الأسواق حركة قومية في المواسم، فقامت حكومة طهران في العهد الأخير وحظرت على الإيرانيين الحج^(٣) إلى الأماكن المقدسة في العراق ومنعت إعطاء جواز سفر لأي إيراني، فانقطع بذلك مورد عظيم للعراق بل أوعزت تلك الحكومة إلى علماء الدين في إيران أن يحملوا الإيرانيين على ترك الحج المذكور وأن يكتفوا بزيارة بعض المراقد الموجودة في بلادهم نظير مشهد^(٤)».

(١) بطي: هو رفائيل: المتوفى عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) صحافي تولى رئاسة تحرير مجلة الحرية وانتخب نائباً في المجلس النيابي العراقي، وعهد إليه بالوزارة، توفي في العراق في شهر نيسان.

(٢) جاء في النص الأصلي كلمة (الفرس) وارتأينا التصرف بالنص واستبدالها بكلمة الإيرانيين إنصافاً للحقيقة التاريخية باعتبار أن حصر الزيارة بالعنصر الفارسي ليس فيه إنصاف للتأريخ إذ ليس كل من يسكن إيران بفارسي حيث هناك قوميات مختلفة. كالترك والأكراد والعرب والبلوش إلى جانب القوميات الأخرى.

(٣) الحج: في اللغة هو القصد والزيارة.

(٤) مجلة الرابطة الشرقية القاهرية: العدد/٣، السنة/١، الصفحة: ٥٢، التاريخ: رمضان ١٣٤٧هـ.

وفي صدد الزائرين الذين وفدوا إلى كربلاء المقدسة خلال زيارة الأربعين عام ١٣٣١هـ البالغ عددهم حوالى مائة وعشرين ألفاً ذكرت مجلة لغة العرب في تعليقها على ذلك: «ولو وصلت بغداد بهذين البلدين - كربلاء والنجف - بسكة حديد لكان الربح في مثل هذا الشهر أكثر من مليون مجيدي^(١) ولاستفاد فائدة تذكر لأن نفقاتهم تقل فيدخرون ما وقروه لأنفسهم لشؤون البيت وراحة أهله^(٢)».

ومن ناحية أخرى فإن المناطق المقدسة إضافة إلى كونها مناطق جذب سياحية يختارها ويقصدها الزائرون في حياتهم فإنها أيضاً محل رقادهم الأخير وأفضل مكان يرجون الدفن فيه لاعتبارات عقائدية عدة^(٣)، ولذلك فإن عدداً هائلاً من الموتى وعلى مر العصور كانوا وما زالوا يردون العتبات المقدسة ومن شتى البلاد^(٤).

ولما كانت قضية دفن الموتى ونقلهم إلى البقاع المقدسة

(١) مجيدي: عملة فضية كان يستخدمها أهل العراق في العهد العثماني، وتنسب إلى السلطان عبد المجيد الأول الذي حكم ما بين (١٢٥٦ - ١٢٧٧هـ) وتعادل ٢٠ قرشاً.

(٢) مجلة لغة العرب البغدادية العدد: ٧ / السنة: ٢ / الصفحة: ٣١٩ / التاريخ: صفر ١٣٣١هـ.

(٣) راجع بحار الأنوار: ٦٦/٧٩ - ٧٠.

(٤) جاء في كتاب عذاب بلا نهاية: ١١٢ «لقد قام المقرر الخاص للأمم المتحدة بزيارة مدينة النجف في يناير كانون الثاني ١٩٩٢م (رجب ١٤١٢هـ) ولاحظ مقبرة السلام، والتي يدفن فيها الشيعة موتاهم ويجلبونهم من أماكن بعيدة كالهند وأفغانستان... منذ ألف عام» وتعد المقبرة هذه من أكبر مقابر العالم.

مورداً إقتصادياً معتنى به، فقد فرضت الحكومة العثمانية وحتى عام ١٣٣٠هـ (١٩١١م) رسوماً بلغت قيمتها خمسين فرنكاً فرنسياً^(١) على كل ميت^(٢)، وعن كثرة نقل الموتى إلى المدن المقدسة يحدثنا الرحالة لوفتس^(٣) قائلاً: «إن الجثث لا ينقطع ورودها إلى كربلاء للدفن لأن الرغبة في الدفن هنا في التربة التي امتزج بها دم الإمام الشهيد تعد أمنية غالية من أمنيات المسلمين»^(٤)، وأما الرحالة جون أشر^(٥) فيقول: «إن جناز المتنفذين من الشيعة والموسرين الذين كان بوسعهم دفع الرسوم والمصاريف المطلوبة كانت تدفن فيه - الصحن الحسيني - فإن ثمن هذا الإمتياز يمكن أن يكلف مبلغاً كبيراً من المال في بعض الأحيان»، ويضيف قائلاً: «قد تصل في قافلة واحدة ألف جنازة في وقت واحد وكل واحدة منها يكون في صحبتها شخص أو

(١) الفرنك الفرنسي: عملة فرنسية جرى التعامل بها في عصور مختلفة ولا زال، وبقيم مختلفة، ضرب لأول مرة من الذهب في عهد جون الثاني عام ٧٦٢هـ، وفي عام ١٢١٠هـ ظهر الفرنك الفضي الذي يزن خمسة غرامات، وفي عام ١٢١٨هـ ظهر قانون ينظم العملة الفرنسية فأصبح الفرنك وحدة العملة الفرنسية ويساوي مائة سنتيم.

(٢) مجلة لغة العرب البغدادية العدد: ٦ / السنة: ٢ / الصفحة: ٢٤٣ / التاريخ: محرم ١٣٣٠هـ (كانون الأول ١٩١١م).

(٣) لوفتس: عالم آثار إنكليزي زار العراق أكثر من مرة وذلك في عامي ١٢٦٦هـ و ١٢٧٠هـ الموافق لعامي ١٨٤٩م، ١٨٥٣م.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء: ٢٩٥ عن Travels & Resarches in chaldeae & susians: p59

(٥) جون أشر: عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن زار العراق وإيران وكانت زيارته للعراق عام ١٢٨٠هـ الموافق لعام ١٨٦٤م.

أكثر من أقارب المتوفى»^(١).

لقد أدرك الإنكليز مدى أهمية زيارة العتبات المقدسة ونقل الموتى إليها في إنعاش الحالة الإقتصادية لتلك المدن فاتخذوا منها ورقة ضغط في احتلال العراق وفرض نفوذهم عليه. كما وردت في بنود الهدنة التي أعلنها مارشال^(٢) في حشد من أهالي بغداد بتاريخ ٦/٢/١٣٣٧هـ^(٣) للتأكيد على ما قطعه الجنرال مود^(٤) من الوعود بعد سقوط بغداد وذلك بتاريخ ٢٤/٥/١٣٣٥هـ^(٥) للشعب العراقي بالإستقلال، وكان من تلك البنود: رفع القيود عن التجارة وتخفيف الحصار والتشدد في تنقل الأشخاص، والسماح بنقل الموتى إلى النجف وكربلاء وزيارة العتبات المقدسة^(٦).

ولا زالت هذه المشاهد المشرفة تتقاطر عليها قوافل الجنائز بينما الرسوم المفروضة على ذلك قائمة إلى يومنا هذا، ففي عام

(١) موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء: ٢٩٨ - ٢٩٩، عن رحلة جون أشر (John Ussher).

(٢) مارشال: هو وليم مارشال القائد العام للقوات البريطانية في العراق قبيل ثورة العشرين والذي خلف الجنرال مود.

(٣) الموافق لـ ١١/١١/١٩١٨م.

(٤) الجنرال مود: وهو السير فردريك ستانلي (١٢٨١ - ١٣٣٦هـ) الموافق (١٨٦٤ - ١٩١٧م) القائد العام للقوات البريطانية في العراق، إستولى على كوت، العمارة وعلى بغداد بعد ان كانت تحت سيطرة العثمانيين.

(٥) الموافق لـ ١٩/٣/١٩١٧م.

(٦) ثورة الخامس عشر من شعبان: ١٨٨، راجع تفاصيل ذلك في فصل ثورة العشرين الحركة السياسية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

١٤١٨هـ بلغ رسم الدفن عند مشهد الإمام الرضا عليه السلام ملايين التومانات الإيرانية^(١)، بينما يكلف الدفن في مقبرة حي السيدة زينب عليها السلام في السنوات الأخيرة ألوف الليرات^(٢) وأما في كربلاء والنجف فقد بلغت كلفة النقل والدفن مئات الألوف من الدينانير^(٣).

وتعتبر مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف من أكبر مقابر العالم في استيعابها للموتى الموفدين إليها من كافة بقاع العالم الإسلامي^(٤) وجدير بالإشارة إلى أن عملية النقل ومراسم الدفن ترافقها جملة من الخدمات التي تعتبر مورداً للرزق لكثير من أبناء هذه المدن^(٥).

(١) لقد بلغت تكاليف دفن الميت في مشهد الإمام الرضا عليه السلام عام ١٤١٨هـ حوالى سبعة ملايين تومان إيراني مع العلم ان الدخل المتوسط اليومي للعائلة في إيران في هذا التاريخ يبلغ حسب الإحصاءات الرسمية حوالى خمسمائة تومان.

(٢) في سؤال وجهته بتاريخ ١٤١٨/٣/١ هـ عبر أحد الأصدقاء إلى المسؤول عن دفن الموتى حول الرسوم التي تتقاضاها الدائرة الخاصة للدفن في مقبرة السيدة زينب عليها السلام الواقعة على شمال مرقدها الشريف فكان الجواب أربعين ألف ليرة سورية، مع العلم أن الدخل المتوسط للعائلة الواحدة في سوريا شهرياً حوالى خمسة آلاف ليرة سورية.

(٣) لقد بلغت تكاليف دفن الميت في مقبرة السلام في النجف عام ١٤١٨هـ حوالى ثلاثة ملايين دينار عراقي مع العلم ان الدخل الشهري المتوسط لكل عائلة حوالى ألفي دينار.

(٤) في تقرير خاص لقناة الجزيرة الفضائية يوم الأحد ١٩٩٧/٨/٣١م (٢٦/٤/١٤١٨هـ) ان الموتى في هذه المقبرة يعدون بعشرات الملايين.

(٥) راجع فصل الإقتصاد من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

وقد امتازت مدينة الحسين عليه السلام بتربتها المقدسة والتي تعد من أهم الموارد المالية لهذه المدينة، حيث يقول شهري^(١): «إن التربة الحسينية كانت تباع في أسواق طهران بالمشاكيل بأغلى من الذهب»^(٢). وهنالك مصانع لصناعة ترب (أقراص) للصلاة^(٣) وللأموات^(٤) إلى جانب السبح وما شابهها والتي يقول عنها الرحالة نيبور^(٥): «إن الترب كانت تصنع في معمل خاص، أصحابها تدفع مبلغاً كبيراً من المال في كل سنة إلى والي بغداد لقاء هذا الإمتياز»^(٦).

وهنالك العديد من الجوانب الإقتصادية الأخرى أعرضنا عنها وأوكلنا بحثها إلى مكان آخر من الموسوعة.

-
- (١) شهري: هو جعفر شهري باف، كاتب إيراني معاصر يسكن طهران، له العديد من الكتب منها (طهران قديم) في خمسة مجلدات.
 - (٢) تاريخ إجتماعي تهران در قرن سيزدهم: ١٣١/٥.
 - (٣) تصنع الأقراص لأجل الصلاة عليها باعتبارين: الأول: لسهولة السجود على الأرض الطاهرة في مثل الأماكن المفروشة أرضها بالسجاد وما إلى ذلك، الثاني: لأجل استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام عند الإمامية كتكريم له لاستشهاده في سبيل الله على تفصيل ذكرناه في باب المسائل الشرعية، وباب الأحاديث من هذه الموسوعة.
 - (٤) توضع مع الميت بعض الأقراص لما ورد في بعض الأحاديث ان تربة الحسين عليه السلام أمان من كل خوف، راجع باب الأحاديث من هذه الموسوعة.
 - (٥) نيبور: هو كارستن نيبور، رحالة الماني جاء إلى العراق عن طريق الخليج، زار كربلاء في شهر رجب عام ١١٧٩ هـ الموافق ٢٧ كانون الأول ١٧٦٥ م.
 - (٦) موسوعة العتبات المقدسة قسم كربلاء: ٨٩، عن رحلة نيبور.

الدور السياحي للمراقد

إن المعالم السياحية لكل بلدة قائمة على الآثار التاريخية المجسدة تجسيداً حياً ينطق بمعاني ودلالات الحوادث والوقائع التي شهدتها تلك البقاع الأثرية سواء أكانت آثاراً سلبية أو إيجابية، لها قيمتها السياحية والأثرية التي لا تقدر بثمن، وإذا ما أُضيفت إليها روعة البناء الهندسي والعمارة والفن والإبداع زادت أهميتها وقيمة ناهيك عن الآثار والمعاني الروحية التي تنساب بعمق في روح ووجدان الزائر، فكيف إذا ما اجتمعت كل تلك الصفات والمعاني في أثر بعينه، لا شك سيكون في منتهى البهاء والجلال والعظمة والخلود.

ومرقد الإمام الحسين عليه السلام حوى كل معاني الروعة والبهاء تلك، فكل قطعة فيه بل كل حجر فيه سفرٌ يدلُّك على التاريخ ويرشدك إلى الفن الباهر والذوق الرفيع ويحتاج إلى وصف ودراسة دقيقة متأنية لا تستوفيها هذه الوريقات، ومن المؤسف ورغم عظم الأثر وقيّمته التاريخية فإن الوضع السياسي لكل حاكم ترك ظلاله القاتمة على المرقد الشريف فأصيب بالتخريب أو الإهمال في أحسن الأحوال، ولم تسلم الأضرحة والمراقد في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء والبقيع من العبث والإنتهاك والسرقة.

إن الإهمال الذي مارسته الحكومات التي توالى على حكم العراق واضح للعيان ولا سبيل لتجاهله، فرغم ادعاء الحكومات بالحرص على تعمیر العتبات المقدسة وصيانتها وتطويرها فهي لم تكلف نفسها عناء إنشاء قسم خاص يهتم بدراسة هذه الأضرحة من الناحية الهندسية والمعمارية والأثرية ناهيك عن الجوانب الأخرى، ولم تقم مؤسساتها ودوائرها صاحبة الشأن والإختصاص كمديرية الآثار والسياحة بمساع جادة وحقيقية لتطوير هذه المدن المقدسة باعتبارها ثروة وطنية وإسلامية، ومرجع ذلك في أغلب الأحيان يعود إلى الحقد والتخلف الملازمين لأغلبية الحكومات التي لا تنظر إلى الأمور إلا من زاوية عنصرية وطائفية بغیضة.

إن الجمال وروعة البناء الهندسي للذان تتمتع بهما أضرحة أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يفوقها شيء في العراق على الأقل، وعلى أثرها وزعت الشوارع المحيطة بها وهندست الجوامع والحسينيات وسائر الأبنية، ومن تلك مدينة الحسين عليه السلام التي هي بحق لوحة فنية قل نظيرها^(١)، ولقد أشار العلوي لدى تطرقه للحديث عن العتبات المقدسة في العراق إلى القيمة السياحية لها بقوله: «إن العتبات المقدسة وبغض النظر عن قيمتها الدينية يمكن أن تستخدم في الجذب السياحي حيث صارت السياحة صناعة العصر، وإنعاش إقتصاد البلد دون وقوع المجتمع العراقي بمشكلات

(١) من الجدير ذكره أننا قد وضعنا مخططاً هندسياً شاملاً روعيت فيه الجوانب الأثرية والدينية والهندسية كافة، وصمم بما يناسب ووضع وقدسية المدينة، يمكن الإطلاع عليه في باب أضواء على مدينة الحسين عليه السلام من هذه الموسوعة، ولعلها تكون نواة لدراسة دقيقة من قبل الأخصائيين تأخذ مجراها إلى التنفيذ على أرض الواقع في المستقبل القريب.

المدن السياحية، ودون الحاجة إلى سباق للخيال أو دور للبغاء أو نواد للقمار أو حانات للمخمورين، فالسائح إلى المدن الإسلامية المقدسة ناسك متعبد يأتيها خاشعاً ويغادرها باكياً، وإذا كان معروفاً أن ما لا يقل عن مليوني^(١) زائر كان يمكن أن يتوجه سنوياً إلى هذه المدن، لو أفسح في المجال لكان عائد العراق في الحد الأدنى يزيد على مليار دولار سنوياً، وكان المفترض بالدولة أن تنهض ببناء مطار على الأقل في مدينة كربلاء للنقل المباشر بين هذه المدينة ومدن العالم، وأن تعطي سمات الدخول لهذه الزيارة دون تعقيد أو روتين^(٢)، ولو حدث ذلك لكانت المدن العراقية المقدسة في وضع إقتصادي تستطيع معه أن تردم المستنقع التاريخي الذي يحيط بكربلاء وأن توقف الرمال الهائجة على النجف، وأن تبني في سامراء جامعة وفي الكوفة جامعة، والعراق في كل ذلك هو البلد المزار والقبلة المقصودة^(٣).

إن الإهمال وسوء الإدارة والتخطيط وللأسف! كان على الدوام ديدن الحكومات العراقية في تعاملها وصلتها مع ملف العتبات المقدسة وخاصة مواسم الزيارات التي تتميز بضخامة عدد

(١) ذكر في إحصائية غير رسمية أن عدد الزائرين لمرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في نصف شعبان من عام ١٤١٠هـ بلغ مليوني زائر، وقد أكد لي السيد محمد تقي نجل المرجع الراحل السيد أبو القاسم الخوئي هذه الإحصائية بنفسه لدى زيارته للندن بعد عدة شهور من المناسبة، بينما ذكرت الإحصاءات شبة الرسمية أن عدد الزائرين بلغ في نصف شعبان من عام ١٤١٧هـ ثمانية ملايين زائر كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٢) روتين: كلمة إنكليزية (routine) تعني على وتيرة واحدة في عمل الأشياء.

(٣) الشيعة والدولة القومية في العراق: ٣٣٣.

الزائرين في مقابل تدني الإستعدادات الحكومية اللازمة لاستقبالهم وعجزها عن مواكبة حدث الزيارة المتجدد كل عام، بل وأكثر من ذلك فإنّها سعت في الغالب إلى منع وتحجيم القطاع الخاص ومنعه من المبادرة إلى تقديم خدماته للزوار لسد هذا الخلل والقصور الحكومي^(١).

(١) من الملاحظ أن جميع الدول الإسلامية لما فيها من المساجد والمراقد الأثرية تعد من المناطق السياحية الهامة التي تؤمها الوفود طيلة أيام السنة من جميع أنحاء العالم، وهذه إيران الإسلامية التي نعيش في أكنافها تعد في مقدمة الدول السياحية والتي تشكل المراقد والمساجد الجزء الكبير من الموارد السياحية - المعد.

الدور الفني للمراقد

إضافة إلى الجوانب العديدة التي ذكرت لهذه المراقد فإنها تحف فنية رائعة وآثارٌ قديمة ونفيسة تعتز بها الأمم والشعوب وتعتبرها ثروة وطنية وإنسانية تخص عموم البشرية ويجب المحافظة عليها لما تحتويه من فن معماري رائع ورصيد تاريخي وروحي وديني زاخر، ومن شأن ذلك أن يجعلها مركزاً سياحياً مهماً يفد إليها الزوار والمهتمون من كل حدب وصوب.

وبغض النظر عن كون هذه المباني الفخمة تعد ثروة كبيرة بحد ذاتها فإنها استدعت جهود العباقرة من الفنانين والمهرة واستغرقت أجيالاً عديدة لتظهر بهذا البهاء والجلال، وكانت محط أنظار وعناية ملايين المسلمين وسار على منارها المؤمنون من رجال التوحيد، وتعد بحق آية من آيات الفن المعماري، ويصف الخياط^(١) الفن المعماري المستخدم في الروضة الحسينية بقوله: «ولا غرو فإن السلف كانوا يمتازون بسمو الذوق المعماري وبعد النظر في فنون الرياضة وقوة الإبداع فيها، ولئن كان الملوك والأمرء ورجال الإحسان هم الذين بذلوا الأموال في سبيل إنشاء

(١) الخياط: هو عبد الحميد وقد سبقت ترجمته - المعد.

المباني الرائعة، إلا أن المال وحده لا يكفي في مثل هذه الحال ما لم يقترن بعقريات الفنانين ومهرة الصانع أساتذة الفن الجميل من بنّائين ونقاشين ومزوقين ومهندسين».

وما من شك في أن تاريخ الفنون الجميلة قديم جداً، وأما بخصوص العراق فإن الشعوب العديدة التي استوطنت واديه قد تضافرت على النهوض بالفن منذ الأجيال الغابرة.

ولقد بلغت الفنون أروع عزها حين ازدهار الحضارة الإسلامية في العراق، فإن الفنانين ومهرة الصانع قد أجادوا وجوّدوا في ما أوجدوه من مباني جميلة.

الرياسة الزجاجية:

ومما يسترعي الإنتباه في مباني العتبات تلك الرياسة الزجاجية الناعمة التي نشأت في زمان لم تكن فيه مكائن التصنيع متوفرة، وقد شغلت في وقت كان العامل يعتمد في أعماله على الوسائط اليدوية العادية والأشياء البدائية البسيطة، ومع ذلك فإن هذه الصناعة جاءت آية من آيات الفنون التي يندر أن نجد بينها اليوم من يحسن صنع نظائرها على توافر الوسائل التي اشتهر بها عصرنا.

الفسيفساء:

وأما الفسيفساء (الكاشي) ففي الوسع القول بأن هذه المهنة ذهبت أسرار صناعتها مع الأوائل، وإن التزاويق والألوان الزاهية الثابتة التي تقاوم الطوارئ الطبيعية بثباتها على أشكالها قد ذهب أمرها كما قلنا مع العمال الأوائل، وليس بين أبناء عصرنا من

يستطيع صنع مثل ذلك الفخار الملون والمنقوش بالأصباغ الثابتة .

التخاريم الخشبية:

وكذلك الأمر في صناعة القطع الخشبية الناعمة في التخاريم المتنوعة في النوافذ والشبابيك والإطارات والأبواب المطعمة وغيرها ، هذه الصناعة القديمة معجزة يتحير أمامها عمال النجارة (مشكين قلم)^(١) في العراق وإيران في عصرنا الحديث .

الصياغة:

إن صياغة الفضة والذهب وباقي المعادن الموجودة في شبكات الأضرحة وجوانب الرياض المقدسة يُشتغل مثلها اليوم في إيران والعراق وباقي الممالك الإسلامية في الشرق ، ولكنهم يعجزون عن أن يضاهوا الصياغة القديمة الموجودة في فنون القطع لاسيما في القناديل والتيجان وجلود المصاحف الشريفة التي في خزائن العتبات ، وكذلك السيوف والدروع فإن لقضبانها وأغمارها من فن الصياغة ما يقضي بالعجب .

المرمر:

إن المرمر الموجود في بلاطات المشاهد وجبهاتها يستخرج أكثره من مناجم إيران - وبالأخص - من مقاطعة يزد^(٢) . وكان

(١) مشكين قلم : عبارة فارسية تعني المزوقين أو النقاشين .

(٢) يزد : مدينة إيرانية تقع جنوب شرق مدينة أصفهان على أطراف صحراء طبس ، تبعد عن طهران نحو ٦٧٢ كم .

يؤتى به إلى العراق من هاتيك الجهات وما زال الأمر على ذلك حتى اليوم^(١) حيث يفد معه عماله وقسم من عمال العراق وذلك وفقاً للحاجة والطلب وصنوف هذا المرمز الملون اللامع تضاهي المستخرج من البلاد الأوروبية.

إن تاريخ ازدهار هذه المباني وتزويقها يبدأ بأوائل الحكم البويهى في سنة ٣٦٧ للهجرة فهم الذين بدأوا بذلك وكانت المباني قبلهم موجودة ولكنها كانت بسيطة للغاية^(٢)، ولما جاء العهد الصفوي في عام ٩١٤هـ بدأ الإهتمام بصورة أكثر بهذا الجانب كما سيأتي بيانه.

ويضيف الخياط في وصف المشهد الحسيني قائلاً: «هو بمثابة قلعة من القلاع التاريخية في العالم العربي - الإسلامي - والذي ينعم النظر في زخارفه وهندسته يشهد بعبقريه الأيدي التي أنشأته، وهذا البناء الفخم يعد آية من آيات الفن والهندسة المعمارية»^(٣) ويقول أيضاً: «ويحق للعراق أن يفتخر بهذه الذخيرة الممتازة التي يحتضنها وأن يعتز بهذه المباني الرائعة ذات الطابع الممتاز والرونق الجذاب، ويحق للعراق أن يمجّد عبقریات الأولين الذين تعبوا على إخراج هذه المباني بهذا الشكل المخلد، وخلّفوها لنا لتبقى بيننا رمزاً للفنانين وأساتذة البناء والصاغة والمهرة والحذاق من بلاد إيران والعراق»^(٤).

(١) جاء تاريخ تأليف الكتاب عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م).

(٢) نقلنا المقطوعة من كتاب تاريخ الروضة الحسينية المصورة لعبد الحميد الخياط بتصرف.

(٣) تاريخ الروضة الحسينية المصور: ١٣.

(٤) تاريخ الروضة الحسينية المصور: ٨.

دور المراقدة في العمران والبناء

للمراقدة كما للمساجد دور عمراني بارز في تطور المدن الإسلامية إذ انها قطب رحاها والركيزة الأولى لانطلاق البناء، ولربما كان للمرقدة دور أكبر من المسجد في هذا المضمار باعتبار ان التمصير والعمران وتخطيط المدينة يستند أساساً إلى وجوده فتتوافد الناس إليه وتقصده وتربط عنده وحواليه عندها تبدأ بالتخطيط والبناء والعمران والسكن فيكون أساساً لمدينة حضرية جديدة، وأما المسجد فلم يكن محورياً لتمصير المدينة ولا سبباً مباشراً لإنشائها وتأسيسها كما هو الحال في المرقدة، بل ينشأ المسجد استناداً لتمصير وليس العكس^(١). ولا شك أن للمسجد دوراً كبيراً في تخطيط وعمران المدن الإسلامية كما هو الحال في المرقدة فهو محور التخطيط ومركز المدينة منه، يبدأ العمران وإليه تنتهي الطرق والشوارع.

يضاف إلى ذلك ان المساجد لم يدخلها الكثير من الفنون والزخرفة كما في المراقدة حيث يجب أن تتسم المساجد بالبساطة

(١) بمعنى أن تخطيط المسجد يستند إلى تمصير المدينة، وأما المرقدة فالتمصير يستند إلى المرقدة - المعد.

والتجرد وعدم الكلفة، ومن ناحية أخرى لو دققنا النظر في دراسة العمران وطراز البناء في المدن الإسلامية وتتبعنا تطور حلقاته لوجدناه متلازماً وله صلة أكيدة مع كل منسك وفريضة إسلامية، حتى العبادات التي تظهر وكأنها لا علاقة لها بحركة العمران والبناء إلا أنها لدى التمهيص والتدقيق يتضح دورها البارز والأکید في كل مفصل من مفصل البناء والهندسة.

فالمسلم ودون شعور منه يستمد التخطيط والهندسة وعمران بيته ومدينته من خزين المعرفة الدينية وخلفية تمسكه وأدائه للفرائض والمناسك والشعائر والعادات والتقاليد الإسلامية، ولعلك تلاحظ ومن النظرة الأولى الفرق الشاسع بين الطابع العام المميز لأية مدينة إسلامية عند مقارنتها بالمدن من الديانات الأخرى.

لقد حفظ المسجد والمرقد ملف تطور العمارة الإسلامية على مر العصور وكان شاهداً حياً وسفراً خالداً ينطق بمراحل التطور العمراني والحضاري للمدن الإسلامية وفي ذلك يقول الولي^(١) لدى بحثه عن المساجد: «وإن المساجد التي بنيت، على مر الزمن في كل ناحية من أقطار المعمورة، حفظت لنا التطورات التي عاشتها العمارة الدينية في الإسلام، كما أعطتنا في الوقت نفسه فكرة عما يسمى في أيامنا بالمدارس الهندسية والفنية التي تجسدها هذه العمارة»^(٢).

(١) الولي: هو محمد ابن الشيخ طه، ولد بطرابلس الشام عام ١٣٤٠هـ ودرس في بيروت والقاهرة تولى منصب مساعد القضاء في المحكمة الشرعية في بيروت ثم شغل منصب رئيس قسم الصحافة وغيرها، له مؤلفات منها: الإسلام والمسلمون في ألمانيا، والتراث الإسلامي في بيت المقدس.

(٢) المساجد في الإسلام: ١٣.

فإذا أخذنا فريضة الصلاة مثلاً وحاولنا معرفة ارتباطها بالعمران لوجدنا انها تستوجب أن يقام مكان لإقامتها جماعة ويعرف المكان بالمسجد وهو بدوره يتطلب مكاناً مرتفعاً للمؤذن ومكاناً للخطيب ومكاناً لتحديد الكعبة والمحارب وعلى هذا الأثر ترتفع القباب والمآذن وتصنع المحاريب وقاعات الصلاة، وبما أن للصلاة مقدمات كالطهارة مثلاً فهي إذاً بحاجة إلى إنشاء أماكن لذلك من مرافق صحية وأماكن للوضوء وأخرى للإغتسال وما إليها، فالنتيجة النهائية كَوْن المسجد أو المرقد مجموعة متكاملة من القاعات والمرافق الخدمية والإدارية الملحقة بأصل المبنى الذي يعتبر في نهاية الأمر من المرافق العامة للمدينة ومن علائقها المميزة ومكاناً تقام فيه الصلوات والاجتماعات الدينية والسياسية والندوات الاجتماعية والفكرية والنشاطات الثقافية الأخرى ويتخذ منها مراكز للعلم والأدب.

لقد أصبحت القبلة بمثابة البوصلة للبناء والعمران واتخذت لها مكانة خاصة بالغة التأثير في حياة المسلم العمرانية، إذ غالباً ما كان المسلمون يبنون بيوتهم باتجاه القبلة كما المساجد والمراقد وهو امثال عفوي وفطري للآية الكريمة ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١)، ولعل من ميزة البناء في المدن الإسلامية هو البناء الأفقي أي ذات الطابق الواحد ومرد ذلك هو استحسان الروايات وتحريضها عليه لجهات مختلفة لعل منها الشكل العام والحفاظ على وحدة الأسرة وعدم تفككها، والحفاظ على صحتها،

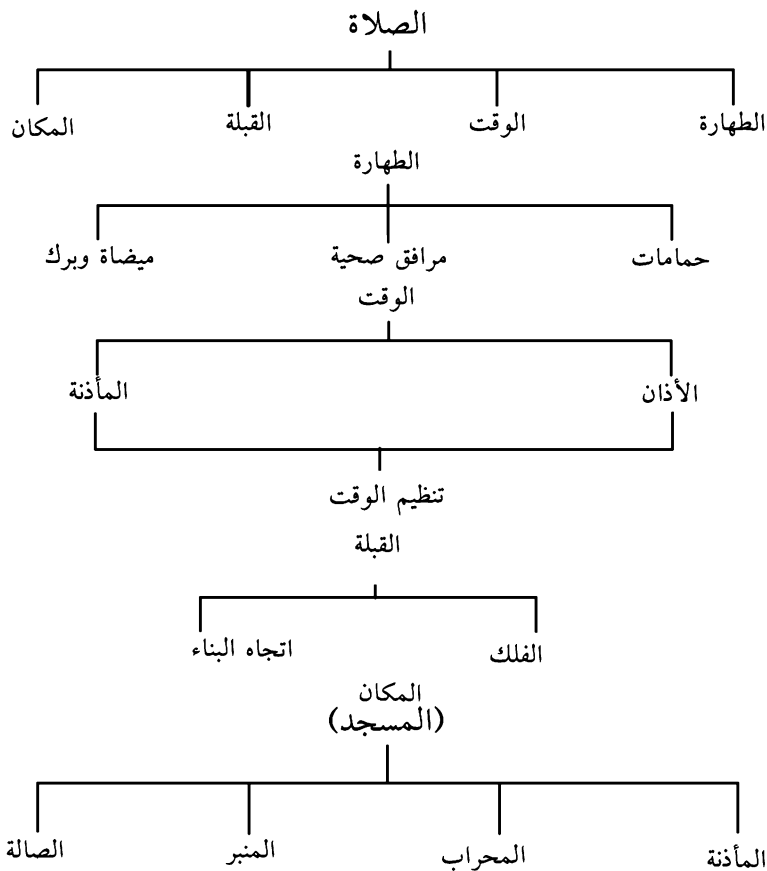
(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

ومراعاة التقاليد الإسلامية المحافظة وغيرها، ولعلها ميزة اختصت بها المدن الإسلامية عن باقي المدن وهي تؤكد استقلالية الحضارة الإسلامية في مجال البناء والعمران.

وهكذا يظهر دور الفرائض ليس فقط في مجال العمارة والبناء بل في نواحي الحياة ومجالاتها كافة، فبالأذان مثلاً تحدد الأوقات وتنظم الأمور وشؤون الحياة اليومية كما هو متعارف في كل البلدان الإسلامية^(١).

وللمثال فهذا رسم بياني لدور عبادة الصلاة في تحريك عجلة البناء والعمران بالإضافة إلى أدوار أخرى.

(١) يذكر المؤلف في مجال آخر من موسوعته الخالدة دور الصلاة ويقول إن مجموع الأعمال التي يقوم بها المصلي سواء على وجه الوجوب أو الاستحباب تبلغ حدود ألف عمل بما فيه الذكر، وقد اختيرت هذه الأعمال بشكل دقيق جداً بحيث يتكون من مجموعها رياضة شاملة لجميع أعضاء الجسم بما فيه الوجه والحلف، فلو التزمها المصلي لم يعد بحاجة إلى القيام بأية رياضة أخرى، هذا بغض النظر إلى الجوانب المعنوية أو غيرها - المعد.



الزخرفة في العمارة الإسلامية

الزخرفة في البناء تعني التزيين والتحسين، والزخرف تعني الذهب وجمعها زخارف، وهذا المعنى هو مدار بحثنا.

لقد جاء الإسلام ليحث على البساطة في المأكل والملبس والمسكن دون بذخ أو إسراف لا حاجة له، فلا يلهث الإنسان المسلم وراء سراب الكماليات ولا تدغدغ مشاعره أنواع الترف واللهو والعبث، ولذلك لم يكن حرص قادة المسلمين منصباً وموجّهاً للكماليات والهوامش من أمور الحياة والعيش بل كان جلّ اهتمامهم وعنايتهم موجه إلى ذات الإنسان وإلى بنائه عقائدياً وخلقياً وعلمياً، البناء الذي تكمن في جوهره السعادة الحقيقية لا المزيفة.

فما أن شق الإسلام طريقه في الحضارات والمجتمعات البائسة منها والغنية حتى أشاع روح البساطة في العيش ودعاهم إليها واعتبرها من مكارم الأخلاق، ومنها بساطة البناء والسكن، فالرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ وأصحابه الكرام كانوا يحيون حياتهم بمتهى البساطة وعدم الكلفة فكانت بيوتهم لا تعدو كونها حيطان من طين يظلها سقف من جريد النخل تؤويهم وتقيهم حر الصيف وبرد الشتاء دون أدنى تعقيد، كل هذا ليتعلم الإنسان البساطة والسهولة فلا يكلف نفسه ولا يلزمها بإصر التعقيدات التي

لا حصر لها ولا يمكن كبت جموحها إن ترك الحبل على الغارب
لا لأنه محرّم في الشريعة بل لأن في البساطة إسعاد المرء وإطلاق
حرية .

لقد كانت حياة أبي ذر الغفاري الصحابي الجليل مثلاً حياً
وصادقاً للبساطة والزهد في العيش حتى عده الإشتراكيون المثل
الأعلى للإشتراكية^(١) .

وهذا علي عليه السلام ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته الزهراء عليها السلام
وخليفته حين تزوج فاطمة عليها السلام سيدة النساء، أسكنها في بيت كل
تفاصيله ومحتوياته تنطق بالزهد والبساطة، فهي دعوة صريحة من
الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام لنبد التعقيد والتكلف في الحياة، ولكن
الإسلام كغيره من الأديان والعقائد والتنظيمات تلقفه من لا يفهمه
فسيره على الشكل الذي حلا له وأخرجه من دوره الرائد الذي
أراد الله، ففي عهد عثمان بن عفان وعهد معاوية بن أبي سفيان
ومن جاء بعدهم من الأمويين والعباسيين تم تغيير مسيرته الرائدة
وأدخل الكثير من التعقيدات في حياة الإنسان المسلم، فقد عمد
الحكام ومن أجل التغطية على تصرفاتهم وأخطائهم الشخصية إلى
تغيير السنة والسيرة المتبعة بدواعي الإصلاح وحجج التطوير
والعمران والتوسعة وامتد أثر التغيير إلى كل شيء حتى المساجد .

(١) مع الأسف فإن الإشتراكيين لم يفهموا الإسلام على حقيقته فتصوروا أن
الإسلام اشتراكي، وقد غفلوا عن أن أي نظام يمكن له أن يلتقي بمبادئ
نظام آخر في جانب من جوانبه فإن النظام الرأسمالي أيضاً يلتقي مع الإسلام
في بعض الجوانب وخاصة فيما يتعلق بالحقوق ولكن ذلك لا يعني أن
الإسلام رأسمالي أو اشتراكي بل هو نظام مستقل بذاته «راجع باب السياسة
من هذه الموسوعة» .

ويذكر أن أول من أدخل الزخرفة في المسجد هو عثمان بن عفان وقد اعترض الأصحاب وسائر المسلمين على فعله هذا حيث روى مسلم في صحيحه:

«إن الناس كرهوا من عثمان ما فعله في المسجد»^(١) من الترميمات والزخارف وكانوا يفضلون لو أنه تركه على هيئته التي كان عليها أيام النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر.

فقال عثمان: قد أكثرتم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من بنى مسجداً لله عز وجل بنى الله له في الجنة مثله»^(٢).

ثم إن معاوية عمد إلى زخرفة المساجد وتزيينها وتصدى إلى تغيير كل ما يتعلق بالأنظمة والعادات والسير المتبعة وكل شؤون الإدارة وطابعها السابق المتميز بالبساطة والزهد، وإلى هذا يرشدنا ما رواه السمهودي^(٣) في كتابه وفاء الوفا^(٤) فيذكر: «ان عمر بن الخطاب لما دخل الشام تلقاه معاوية بعساكر وجنود كثيرة وخيول مسومة وأسلحة مخوصة»^(٥) بالذهب والفضة ولبوس الحرير والديباج زينة حسنة كزينة الفرس والروم.

فقال عمر: ما هذا يا معاوية وما هذه الزينة والفخار لقد

(١) المسجد: أراد به مسجد الرسول ﷺ بالمدينة.

(٢) المساجد في الإسلام: ٣٣٧ عن خطط الشام: ١٧٢/٦.

(٣) السمهودي: هو علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني، الشافعي، (٨٤٤هـ - ٩١١هـ) مؤرخ فقيه ولد في سمهود مصر ونشأ بها وتوفي بالمدينة، ومن مؤلفاته: جواهر العقدین، اللؤلؤ المثلوث، ووفاء الوفا.

(٤) ويقال له خلاصة الوفاء.

(٥) خوَص الشيء: زينه بصفائح الذهب.

أتيت أمراً إِمراً^(١) وارتقيت مرتقى^(٢) صعباً.

فاعتذر معاوية فيما اعتذر: إننا لنجد بذلك المظهر عليهم
والذلة والصغار فيهم واشربوا في قلوبهم الرعب حين يرون
مساجدنا محلاة بالذهب وسقوفها منقطة بقناديل الذهب^(٣).

ويقول المستشرق الألماني كوهنل^(٤): «حرص نبي الإسلام
نفسه على تجنب كل مظهر للبذخ والترف فلما تولّى معاوية
الخلافة وجعل دمشق عاصمة لها رأى الأمر يتطلب تشييد مساجد
لا تقل روعة عن قصور بيزنطية^(٥)، وعلى ذلك قامت في الدولة
الجديدة حركة بناء نشطة وكان من السهل استيراد المواد واستقدام
العمال والفنيين من مختلف أنحاء الدولة كما ساعد المعلمون
السوريون والروم في تطبيق أصول الزخرفة وتطويرها في نطاق
المظهر الشرقي^(٦) وهكذا دخلت زخرفة المباني الدينية بل
الرسمية والشخصية في الإسلام.

ويقول الولي: تعليقاً على فعلة معاوية «في كل زمان من كل

(١) الإمر: بالكسر، المنكر، العجيب.

(٢) المرتقى: موضع الإرتقاء أي الصعود.

(٣) المساجد في الإسلام: ٣٣٧ عن وفاء الوفا: ٤٢٧/١.

(٤) كوهنل: هو أرنست كوهنل (Ernest Kohnel) مستشرق ألماني له كتاب
الفن الإسلامي ترجمه إلى العربية أحمد موسى.

(٥) بيزنطية: اسم يطلقه المؤرخون إجمالاً على الدولة الإغريقية التي حكمت في
القرون الوسطى، وبيزنطية اسم لمستعمرة يونانية كانت عند مضيق البسفور
وهي استانبول التركية اليوم، أعاد بناءها قسطنطين الكبير عام ٣٠٨ ق.هـ
(٣٢٤م) ودعاها القسطنطينية لتكون عاصمة الامبراطورية البيزنطية وذلك عام
٢٣٤ ق.هـ (٣٩٥م).

(٦) المساجد في الإسلام: ٣٣٧ عن الفن الإسلامي ترجمة أحمد موسى: ١٥.

مكان الناس على دين ملوكهم^(١)، وعندما رأى المسلمون أن الخليفة في دمشق بنى مسجداً ضخماً وجعل فيه النقوش وزينه بالرسوم والزخارف الجميلة فإنهم ما لبثوا أن حذوا حذوه في مساجدهم التي شيدها في الأمصار^(٢).

وفي كثير من الأحيان دخلت الزخرفة في المباني الدينية في الإسلام بشكل عفوي حين كانت القصور والكنائس المزخرفة تتحول إلى مساجد للعبادة^(٣) أو مراقد للعظماء والأولياء فتبقى تلك الزخرفة وتتحول كجزء من البناء المعماري كما هو الحال في كنيسة آيا صوفيا^(٤) في اسطنبول وكنيسة دمشق^(٥) ثم تطور ذلك

(١) قوله: «الناس على دين ملوكهم» من الأمثال الشائعة - المعد.

(٢) المساجد في الإسلام: ٣٣٧.

(٣) جاء في كتاب فنون الشرق في العصور الإسلامية لنعمة اسماعيل عام: ١٨ «أنه لما امتدت فتوحات العرب إلى خارج شبه الجزيرة العربية استخدم المسلمون العرب بعض الكنائس التي وجدوها في سوريا كأمكنة للصلاة، كما قاموا بتحويل بعض القصور الفارسية في إيران إلى مساجد بالرغم مما وجد فيها من أشكال حيوانية»، ونقلت المؤلفة عن كتاب موجز العمارة الإسلامية في عمارة قصور الفرس الأكمينيين تأليف كريزويل باللغة الإنكليزية: ٨ «إن تاج أعمدة مسجد الجمعة في مدينة استخر كان على هيئة بقرة كما عرف مسجد قزوین بمسجد الثور».

(٤) آيا صوفيا: كنيسة في استنبول (القسطنطينية) بناها يوستينيانوس الأول البيزنطي عام ٩٣ق.هـ (٥٣٢م) وحولها محمد الثاني العثماني إلى مسجد عام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)، أصبحت متحفاً عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) من اروع نماذج الفن المعماري البيزنطي.

(٥) كنيسة دمشق: وهي كنيسة كان يتعبد فيها زمن الروم وقد كانت قبلهم معبداً لأمم مختلفة إذ يزعم الكلدانيون أنها من بنائهم، وعند مجيء الإسلام حول قسماً منها إلى مسجد، وفي عام ٨٦ هـ (٧٠٥م) بدأ الحاكم الأموي الوليد =

بتطور الزمان فأدخلت الكتيبة الجدرانية المنقوشة بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة^(١) وزينت المساجد بالقناديل الذهبية المعدنية والزجاجية المرصعة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة.

ويذكر أنّ أول من أدخل القناديل المعدنية إلى مسجد الرسول هو تميم الدارمي^(٢) وذلك في عهد الرسول نفسه حيث حمل قنديلاً من الشام وعلقه في المسجد فلما غربت الشمس دخل الرسول ﷺ فإذا هو بها تزهر، فقال ﷺ: «من فعل هذا؟» قالوا: تميم الدارمي، فقال ﷺ: «نورت الإسلام وحليت مسجده، نور الله عليك في الدنيا والآخرة»^(٣).

هذا وكانت المراقد تتطور بتطور المساجد في سائر أمورها ومنها فكرة الزخرفة والإنارة والكتيبة والنقوش، وبما أن النهي الوارد عن الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وارضاهم كان صريحاً في زخرفة المساجد - إذ المراقد لم يكن لها دور آنذاك - فلذا لم يتأثر تطور زخرفة المراقد بتلك الأحاديث الناهية كما هو الحال بالمساجد فزينت بالمرايا والقاشاني والفسيفساء والنقوش والتوريقات والخطوط الجميلة.

وبخصوص تطور مراقد أهل البيت ﷺ فمما لا شك فيه أن للحكومات الإيرانية المتتالية وتواليها على العراق دور كبير في

= ابن عبد الملك بن مروان بناء الجامع المعروف بالأُموي عليها وانتهى من البناء عام ٩٦ هـ (٧١٤ م).

(١) راجع كتاب الزخارف الجدرانية في آثار بغداد لخالد بن خليل الحموي.

(٢) الدارمي: هو تميم بن أوس بن خارجة، أسلم عام ٩ للهجرة وانتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان وسكن بيت المقدس توفي عام ٤٠ للهجرة.

(٣) المساجد في الإسلام: ٣٤١ عن وفاء الوفا: ٧٤٣/١.

ذلك، حيث تولت بناء المراقد بأفخر الطرز المعمارية والهندسية ومن تسمية القاشاني نستخلص أيضاً انها دخيلة الصنع حيث ان الكلمة معربة عن الكاشاني نسبة إلى مدينة كاشان^(١) التي كانت ذات شهرة بصناعة هذا النوع من الخزف المزخرف، ولا نريد القول ان أصل صناعة القاشاني منسوب إليهم دون غيرهم، ولعل ثمة أقواماً سبقوهم إلى ذلك ولكن الذي يمكن قوله، ان هذا النوع المتعارف عليه في البلاد العربية وبالأخص العراق ورد من هذه المدينة فنسبوه إليها عبر الملوك والسلاطين الذين كان لهم الدور الكبير في تعمير وتطوير العتبات المقدسة في العراق.

(١) كاشان: مدينة أثرية إيرانية تقع إلى الجنوب من طهران العاصمة بحوالى ٢٠٠ كم وإلى الشرق من قم المقدسة بحوالى ٨٥ كم، عرفت بصناعة السجاد الفاخر إضافة إلى صناعة الخزف (القاشاني)، فيها عيون وآثار جميلة.

مفردات من العمارة الإسلامية

الرواق:

بكسر الراء وضمه، تقدم البحث عن صيغته وتعريفه^(١)، وهو إجمالاً يطلق على الصالات والأجنحة المحيطة بالمسجد أو المرقد أو ربما بلاط الملوك وقصور الرؤساء، وقد زعم البعض ان فكرة الرواق إسلامية غير دخيلة^(٢) ولكنه كلف نفسه في ذلك حيث لا مجال لمثله^(٣) لأن الفكرة كانت متبعة في الكنائس والمؤسسات الكبيرة سواء الروحية منها أو الرسمية التي كانت لدى الحضارات التي سبقت الإسلام وسرعان ما أخذ المسلمون

(١) راجع باب قاموس النهضة الحسينية من هذه الموسوعة.

(٢) لا يخفى أن لفظة الرواق عربية.

(٣) من الغريب جداً أن التطرف اقتحم ساحة اللغة واشتقاقات الكلمات حيث مال البعض إلى الإفراط وآخرون إلى التفريط، فمنهم من حاول أن يجعل الكلمات المحلية الدارجة كلها ذات أصول عربية، وبعضهم حاول أن يجد لها أصلاً غير عربي، وقد ضاع الكثير بسبب هذا الإفراط والتفريط. ولكن الواقع يرشدنا إلى خلاف ذلك حيث أن بعض الكلمات عربية الأساس وبعضها أعجمية الأساس وهذا لا يضر العربية بشيء كما أن ذلك لا يرفع من شأن العربية لو قلنا به.

الفكرة وطبقوها في العمارة والهندسة الإسلامية، ويذكر أن أول من اتخذ الأروقة للمسجد النبوي الشريف عثمان بن عفان عندما وسع المسجد^(١) أيام حكمته^(٢).

ويظهر من هذا وغيره ان فكرة الأروقة جاءت كضرورة معمارية لتوسعة المساجد بشكل لا يمس أصل المسجد فالإضافات جانبية تضاف إلى أصل البناء ولذا سمي بالرواق، ولا يخفى أن الحضارات السابقة كلها كانت تستخدم الأروقة في بنائها المعماري، وعليه لا يمكن القول بأن المسلمين أخذوا الفكرة من حضارة بعينها ولكن الصحيح ان المسلمين اختلطوا بالعديد من الحضارات نتيجة الفتوحات، ويوماً إثر يوم ولّد هذا التمازج والتجانس حضارة خاصة بهم وأشكالاً معمارية يعتدّون بها، فأصبحت الأروقة أحد العناصر المعمارية التي يتألف منها المسجد والمرقد والبلاط فيزيدها بهاءً وجمالاً وأدخل فيها الكثير من الفنون المعمارية حتى صارت روعة من الروائع الهندسية ومأثرة من المآثر المعمارية.

وخلال العصور المنصرمة استخدمت هذه الأروقة المحيطة بالمساجد أو المراقد تارة في إقامة مجالس الذكر، وأخرى لإقامة مجالس الدرس والوعظ أو لأغراض وغايات أخرى لا تتنافى و قدسية المسجد أو المرقد.

وربما وسع المسجد أو المرقد فأحيط بعدد من الأروقة في

(١) المساجد في الإسلام: ٣٠٥، عن فتوح البلدان للبلاذري: ٥٣ وأعلام الساجد بأعلام المساجد للزركشي: ٥٧.

(٢) حكم عثمان بن عفان ما بين ٢٣ - ٣٥هـ.

كل جانب من جوانبه، وذلك لتزايد عدد المصلين أو الزائرين، وهذا بالفعل ما حصل في جوانب المراقد المقدسة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وأخص منها مرقد الإمام الحسين عليه السلام الذي سيأتي الذكر عنه في بابه^(١).

وهذه الأروقة إضافة إلى كونها زادت على جمالية المرقد فقد امتصت الزحام وقللته إلى حدٍ يتناسب وعدد الزوار، وساعدت في تكييف جو المرقد بشكل يتلاءم وأيام القيظ والبرد.

هذا وقد خصص في كل من أروقة الحرم الحسيني والعباسي قسم لتعبد النساء سعياً وراء عدم الإختلاط، ومراعاة الطقوس الإسلامية السامية، كما ودفن في بعضها الآخر كبار العلماء والسلاطين ورجالات الفكر والسياسة الذين كان لهم دور في بناء المرقد أو رقيّه على تفصيل مرّ في محله^(٢).

(١) راجع فصل المرقد الحسيني والعباسي من هذا الباب.

(٢) راجع فصل المقابر من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

~————ĩÒúã ÍÆäü úàÌ æÒÒÌ—————úãúÓîè

لقد تطرقنا في ما سبق^(١) إلى تعريف الصحن ومجمله انه المكان الرحب المحاط أو المتصل بالمرقد أو المسجد. وهذه الساحة الرحبة لم تكن موجودة في أول عمارة إسلامية أسسها الرسول محمد ﷺ على أرض يثرب ونقصد بذلك مسجد قبا^(٢)، حيث كان المسجد عبارة عن مساحة أو مكان مسقف بأغصان وسعفات النخيل ولكن الرسول ﷺ لما بنى مسجده المعروف باسمه جعل له ظلتين، ظلة من جهة الجنوب وأخرى من جهة الشمال وجعل بينهما رحبة تفصل بينهما حيث ورد عن زيد بن ثابت^(٣) انه قال: «بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين في ستين ذراعاً»^(٤) أو يزيد، ولبن لبنة من بقيع

(١) راجع باب المصطلحات من هذه الموسوعة.

(٢) مسجد قبا: عندما وصل الرسول ﷺ مهاجراً إليها بركت ناقته في هذا المكان فشيّد عليه مسجداً وهو أول مسجد أسس في الإسلام وهو اسم بئر عرفت القرية به، ويقع إلى الجنوب من مسجد الرسول ﷺ وعلى بعد ميلين منه.

(٣) زيد بن ثابت: هو ابن الضحاك الأنصاري الخزرجي (١١ق.هـ - ٤٥هـ) ولد في المدينة ونشأ في مكة، صحابي راوي هاجر مع النبي وهو ابن ١١ سنة، وقد روي أن أبا بكر كلفه بجمع القرآن.

(٤) الذراع: الهاشمي منه يعادل ٦١,٢ سم.

الخبخة^(١) وجعله داراً وجعل سواريه^(٢) خشباً شقة شقة وجعل وسطه رحبة^(٣)، وكانت هذه الرحبة وغيرها من الرحاب بسيطة كبساطة البناء ذاته لحث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ على جعلها بسيطة لتكون أكثر روحانية^(٤)، وإنما دخلت الأبهة لمثل هذه الأماكن عبر الملوك والسلاطين بدءاً بمعاوية بن أبي سفيان.

ولا يخفى أن الصحن لا يسمى صحناً إذا كان مسقوفاً ويستفاد من هذه الباحة الرحبة للصلاة في بعض فصول السنة أو لأغراض أخرى تتناسب وقدسية المكان.

وما أن بدأ المسلمون بعمارة المراقد لعظمائهم حتى

(١) بقيع الخبخة: اسم موضع قرب البقيع (المعروف ببقيع الغرقد) وإنما سمي بالخبخة بالفتح اسم شجر عرف به هذا الموضع وقيل ان أصله الجبجة.

(٢) السواري: لعله أراد به سورته وحائطه.

(٣) مدينة شناسي: ٣١.

(٤) من الغريب أن الشيخ طه الولي في كتابه المساجد في الإسلام: ٣٣٦ يريد القول إن البساطة والعفوية في الإسلام إنما هي انعكاس طبيعي للبيئة الجغرافية التي كانت المهادر الأولى لهذا الدين الحنيف الذي انطلق من الجزيرة العربية حيث يحيى الناس في ظروف إقليمية لا توحى بأي مظهر من مظاهر الكلفة والتصنع، ولكنه نسي أن الإسلام دين الشمولية ودين الأجيال والعصور وأن أحكامه وسنته لم تكن مبنية على التأثيرات والانعكاسات وإنما جاء ليؤسس مبادئ وقوانين للبشرية جمعاء ولمصلحتها وإبعادهم عن كل أشكال التعقيد والتكلف، كما أن المؤلف أخطأ أيضاً في نسبة التعقيدات إلى الأديان الأخرى حيث لم نجد في مبادئ الأديان السماوية الأخرى أي دعوة للتعقيد بل هي كالإسلام مبنية على البساطة وإنما أصبحت معقدة من قبل المتلاعبين باسم الدين الذين اتخذوه مطية لأهوائهم، وغاياتهم الدنيئة كما هو الحال لدى بعض المسلمين الآن وعند أتباع سائر الديانات.

خصصوا مساحة مكشوفة إلى جانب المرقد للاستفادة منها لأغراض شتى منها الإنارة والتهوية ومحل جلوس وصلاة وعبادة في أيام القيظ ومكان مناسب للإحتفالات والمناسبات الدينية العامة منها والخاصة بصاحب المرقد الشريف، وربما كانت محلاً للأمتعة أيضاً كما هو الحال في المساجد بل وربما كانت مربوطاً للدواب في سابق العهد.

وعمد المسلمون في الغالب إلى تشجير هذه الساحة الرحبة وإلى بناء محل للتطهير والوضوء ومخالف للأحذية ومخازن للمرقد، كما حول الكثير من العلماء والأدباء هذه الصحن والرحاب إلى مراكز للتدريس والتعليم^(١) والمناظرة وقد حدث كل هذا بفعل التطور والحاجة ولذلك قام المشرفون على هذه الأماكن المقدسة بإنشاء بعض الأبنية والمرفقات داخل الصحن وحواليه لمزاولة التدريس والتعليم والسكن الداخلي لطلبة العلم، وبناء مقابر للزعماء والعلماء^(٢)، ومحال للوضوء والطهارة وأخرى للسقي والشرب وغرف لاستراحة الوافدين وإطعامهم ومكتبات ومتاحف، وما إلى ذلك من مرافق حيوية أصبحت ضرورية وأملتها الحاجة والضرورة في مثل هذه المراكز المقدسة.

وقد تفنن المعمارون في هذه الأبنية والمرفقات حتى أصبحت آية رائعة من آيات الفن المعماري تضاف إلى البناء الأساسي للمرقد، نذكر منها صحن أبي عبد الله الحسين عليه السلام

(١) راجع مقدمة فصل الحركة العلمية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

(٢) راجع فصل الآثار من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة.

وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، حيث ان المرقد المطهر واقع وسط صحن كبير محاط بمرافق حيوية مختلفة غاية في الجمال والهندسة المعمارية الأصيلة، مزينة بالقاشاني الملون والرخام المعرق، تسابق الملوك والسلاطين إلى جانب التجار والمؤمنين على التبرع بها وتجديد بنائها حتى أصبحت أثراً تاريخياً عريقاً يشار إليه بالبنان.

وتقام في هذه الصحن الصلوات والإحتفالات والمؤتمرات وحلقات الدرس على تفصيل مر في محله ^(١).



————— úãõîÒúÎ ————— àúèè iëÎ ÍÆäü úãõîÒúÎ

(١) راجع الفصول التالية من باب أضواء على مدينة الحسين من هذه الموسوعة:
فصل الآثار، فصل الحركة العلمية، فصل النهضة الفكرية بالإضافة إلى هذا الباب، فصل المرقد الحسيني والمرقد العباسي.

القبة

سبق تعريف القبة بما فيه الكفاية في محله^(١) وبإيجاز هي نوع من البناء المحدودب الذي له شكل كرة أو بيضة مشطورة عند وسطها، أو على شكل مخروطي أو حلزوني.

وتاريخ بناء القبة قديم جداً يعود إلى تاريخ استخدام الإنسان للطابوق في صناعة السقوف، ومن شأن بناء السقف بالطابوق المجرد دون شيء آخر أن يخلف قبة^(٢) يختلف ارتفاعها وكبرها بكبر اتساع القاعدة.

هذا وقد تطور بناء القباب حتى أصبحت بشكلها الفني المتعارف عليه، وأصبحت رمزاً لأضرحة العظماء في سائر الملل والنحل حيث أن القبة لم تكن خاصة بالمسلمين بل كانت ولا زالت علامة مميزة لكثير من المؤسسات والمعابد الدينية للأديان السماوية أو غيرها، وليست مختصة بملة دون أخرى، وكثيراً ما

(١) راجع باب قاموس المصطلحات من هذه الموسوعة.

(٢) عند بناء السقف بالطابوق المجرد دون استخدام الأعمدة والقواطع يضطر القائمون عليه فنياً وهندسياً إلى عمل قبة محدوبة أو حلزونية أو مخروطية الشكل لتتحمل ثقل التحميل وتتلافى السقوط، وهذا النوع من البناء يسمى بالعقادة «عقادة».

استخدمت في بناء المؤسسات الضخمة أو مراكز القضاء أو دواوين الملوك أو الأمراء، وأصبحت بعد فترة طويلة رمزاً لأضرحة الأولياء وقرينة تدل عليها قد لا تعرف إلا بها، وهناك مثل عربي حول القبة يقول: «تحت كل قبة شيخ»^(١)، وهنالك أمثال غير عربية تشاطر المثل العربي حول القبة الخضراء.

ومن النادر جداً أن ترى معبداً دينياً أو ضريحاً مقدساً ليس عليه قبة واحدة إن لم تكن أكثر وكان الوثنيون يبنون القباب على الهياكل الوثنية في العهود الغابرة وربما انتقلت منها إلى اليهودية والنصرانية فالإسلام^(٢).

وعلى كل حال لا يمكن تحديد تاريخ دخولها في العمران الديني بدقة حيث انها دخلت رويداً رويداً كما هو الحال في مبدأ فكرة القبة وذلك لأن بناء السقف كان على شكلين لا ثالث لهما، السقوف المسطحة التي كانت تصنع عادة من جذوع النخل والأشجار أو السقوف المكدبة التي أنشأت بالطابوق كما سبق القول عنها، ولا شك أن تاريخ الأول سابق لتاريخ الثاني ولكن الثاني أكثر حضاريةً ويعد تقدماً فنياً وهندسياً عن سابقه.

ومن أمثلة التطوير وتداخل الحضارات بالنسبة إلى القبة بالذات هو مسجد آيا صوفيا^(٣) حيث يعد موقعاً أثرياً في استامبول وقد بناه قسطنطين الكبير^(٤) ليكون معبداً سماه بكنيسة صوفية

(١) المساجد في الإسلام: ٢٧٨، ولعل هذا المثل إشارة إلى مركز العبادة أو الثقافة التي كان يتولاها المشايخ.

(٢) راجع المساجد في الإسلام: ٢٧٤.

(٣) آيا صوفيا ويقال لها «آجيا صوفيا».

(٤) قسطنطين الكبير: هو ابن قسطنطيوس الأول كلورس البيزنطي ولد عام =

قدسية^(١) وكان مؤلفاً من جدران مصنوعة من الحجارة وسقف خشبي، وأعاد بناءها بعد الحرق المعماران أنتيميوس ترالي^(٢) وإيزيدور مليطي^(٣) بأمر الملك يوستينانوس الأول^(٤) البيزنطي عام ٩٣ق هـ (٥٣٢م) وانتهى من بنائها عام ٨٨ق. هـ (٥٣٧م) فطال بناؤها خمس سنوات وأحد عشر شهراً وعشرة أيام^(٥) وكانت القبة النصف كروية السبب الرئيس لهذا التأخير حيث كانت تعد معجزة العصر آنذاك، وفي عام ٦٥ق. هـ (٥٦٢م) كلف المهندس الشاب إيزيدوراس^(٦) بتصليح بناء الكنيسة التي تهدم جزء منها في زلازل متعاقبة فقام برفع القبة بمقدار ٦,٢٥ متراً، وتعتبر هذه القبة لحد الآن من أفخم القباب حيث ترتفع عن سطح الأرض ٥٥ متراً ويبلغ قطرها ٣١ متراً، وفي ١٩/١١/٧٤٦ هـ دمر الزلزال النصف

= ٣٦٤ق. هـ (٢٧٤م) وحكم بعد أبيه عام ٣٢٦ق. هـ (٣٠٦م)، بنى مدينة القسطنطينية على بقايا مدينة بيزنطة فاتخذها عاصمة ملكه فدشنها عام ٣٠١ق. هـ (٣٣٠م) ووحد الإمبراطورية البيزنطينية وأطلق الحرية للدين المسيحي.

- (١) صوفية قدسية: وقيل إنها عرفت باسم «رثيا صوفيا».
- (٢) انتيميوس الترالي: (Anthemios de Tralles) رياضي ومهندس بيزنطي مشهور عاش في القرن السادس الميلادي (القرن الأول قبل الهجرة).
- (٣) إيزيدورس الميلاطي: (Isidore de Milet) رياضي ومهندس بيزنطي عرف بفنه المعماري في القرن الأول قبل الهجرة (السادس الميلادي).
- (٤) يوستينانوس الأول: البيزنطي ولد عام ١٤٥ق. هـ (٤٨٢م) تولى إمبراطورية البيزنطينية بعد يوستينس الثاني عام ٩٨ق هـ (٥٢٧م) إلى أن توفي العام الأول ق. هـ (٥٦٥م) فخلفه ابن أخيه يوستينس الثاني، حاول توطيد وحدة الإمبراطورية في السياسة والدين والقانون.
- (٥) تم افتتاح الكنيسة في ٢٧/٦/٥٣٧م.
- (٦) إيزيدوراس: مهندس بيزنطي أخذ الفن المعماري عن عمه إيزيدوراس الكبير.

الشرقي من القبة فعمدوا إلى ترميمها .

ولما فتح المسلمون قسطنطينية (إستامبول) حولها السلطان محمد الثاني العثماني^(١) عام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) إلى مسجد جامع، وقد أضاف إليه مئذنة ومدرسة ثم أضاف خلفه السلطان بايزيد الثاني^(٢) مئذنة أخرى، وبعد علمنة النظام في تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك^(٣) عام ١٣٤٢هـ حوّل المسجد إلى متحف أثري، وبالنسبة يعد البناء من أروع نماذج الفن المعماري البيزنطي .

(١) محمد الثاني (الفتح): هو ابن مراد الثاني ابن محمد الاول، سابع سلاطين العثمانيين ولد عام ٨٣٣هـ وحكم بعد ابيه عام ٨٥٥هـ، فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ وتوفي عام ٨٨٦هـ .

(٢) بايزيد الثاني: هو ابن محمد الثاني، ابن مراد الثاني ثامن سلاطين العثمانيين حكم بعد ابيه عام ٨٨٦هـ وتوفي عام ٩١٨هـ .

(٣) أتاتورك: هو مصطفى كمال (١٢٩٩ - ١٣٥٧هـ) قائد تركي ولد في سالونيك، مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها عام ١٣٤٢هـ .

Date	Time	Location	Weather	Wind	Temp	Humidity	Pressure	Remarks

وهناك عدة تفسيرات حول اتخاذ القباب على المعابد الدينية ذكرها البعض^(١) ولكن أغلبها غير واقعية.

هذا وذكر الولي: إن أول قبة بنيت في الإسلام هي قبة مسجد الصخرة المشرفة في بيت المقدس التي بناها عبد الملك ابن مروان الأموي عام ٧٢هـ بغرض منافسة عبد الله بن الزبير حيث اتخذ الأخير من مكة مقراً دينياً وسياسياً مستغلاً تدفق الحجاج إليها للدعوة إلى نفسه وأخذ البيعة منهم فأراد عبد الملك صرف أنظار المسلمين عن مكة باتجاه بيت المقدس لذلك بالغ في بناء مسجد الصخرة عمارة وفخامة وسعة^(٢).

ولكن المؤرخين يذكرون أن إبراهيم بن مالك الأشتر^(٣) قائد قوات المختار بن أبي عبيدة الثقفي^(٤) وبعد تولي الأخير الكوفة عام ٦٦هـ بنى على مرقد الإمام الحسين عليه السلام قبة من الجص والآجر^(٥) بعدما وضع بنو أسد على قبره الشريف

(١) راجع المساجد في الإسلام: ٢٧٥.

(٢) المساجد في الإسلام: ٢٧٧.

(٣) إبراهيم الأشتر: هو إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعي المستشهد عام ٧١هـ، تولّى ولاية الموصل والجزيرة وخاض معركة ضد الجيش الأموي عرفت بمعركة خازر فتمكن من قتل جملة من وجوه وقادة الجيش الأموي وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد.

(٤) المختار الثقفي: أبو إسحاق بن أبي عبيدة الثقفي، ثار في الكوفة ضد الأمويين طلباً بثأر الحسين عليه السلام وتبع قتلة الحسين عليه السلام فقتلهم وذلك في شعبان سنة خمس وستين هجرية، قتل في حربه مع مصعب بن الزبير في ١٤ رمضان عام ٦٧هـ.

(٥) تاريخه كربلاء: ٥٦ عن تاريخ مدينة الحسين عليه السلام: ٢٠/١.

ولعل المختار وابن الأشر أخذوا فكرة القبة من بناء المدائن^(٢) أو الحيرة^(٣) حيث كان بها قصر المناذرة^(٤) أو ربما من منطقة بابل لأن فيها آثار وبقايا البابليين^(٥).

ونقل السهمودي في كتابه وفاء الوفا أن رجلاً من الأنصار بنى قبة لنفسه في المدينة فاستنكر عليه الرسول ﷺ ذلك فهدمها إرضاءً للرسول ﷺ فقال عندها الرسول ﷺ: «إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا» أي ما لا بد منه^(٦).

ولو صحَّ هذا الخبر لدلنا على أن المسلمين كانوا قد تعرفوا على القباب منذ عهد الرسول ﷺ وذلك لسفرهم واحتكاكهم بالحضارات في الشام واليمن حيث رأوا الفنون المعمارية لملوك

(١) تاريخه كربلاء: ٥٦، وراجع هذا الباب، فصل المرقد الحسيني.

(٢) المدائن: اسم أطلق في العصور الوسطى على سبعة مدن تقع على مسافة ٣٠ كم جنوبي بغداد واقعة على جانبي دجلة، وفيها مرقد سلمان المحمدي (الفارسي) كما فيها طاق كسرى المعروف.

(٣) الحيرة: اطلال عاصمة المناذرة اللخمين، تقع الى الجنوب من مدينة النجف - العراق.

(٤) المناذرة: دولة عربية عاصمتها الحيرة جنوب غرب العراق، وإنما أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى خمس من ملوكها سموا بالمنذر آخرهم المنذر الخامس حكم ما بين (٧ - ١١هـ).

(٥) البابليون: سبع سلالات حكمت من بابل، عرفت بالبابليين، امتد حكمها من عام ٢٥٣٠ ق.هـ (١٨٣٠ ق.م) وحتى عام ١٢٨٩ ق.هـ (٦٢٧ ق.م) بلغ عدد ملوك السلالات التسع ١٠٦ ملكاً، أول ملوك السلالة الأولى هو الملك سموآب وآخر ملوك السلالة التاسعة هو الملك كندلانو.

(٦) المساجد في الإسلام: ٢٧٦ عن وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٤٣٦٨.

الغساسنة^(١) في الشام، وملوك حمير^(٢) باليمن بل وغيرها من الحضارات التي كانت تستخدم القبة في عمارتها وبنائها.

ومما سلف يتبين عدم صحة ما ذكره المستشرق كوهنل^(٣) بقوله: «كان الضريح في مقدمة ما دخل مع السلجوقيين في آسيا الامامية كبناء مقدس إلى جانب الجامع وكان على صورتين، قبر على شكل برج وقبر على شكل قبة، كما عرفت الأضرحة ذات القباب من غرب تركستان عن طريق المماليك»^(٤). وعلى كل حال فإن أتباع أهل البيت عليه السلام كان لهم الدور الأول في بناء القبة وتطويرها في الإسلام وبالأخص على الأضرحة المقدسة.

وهناك العديد من المساجد والمراقد بنيت عليها أكثر من

(١) الغساسنة، أو آل جفنة: سلالة عربية يمنية الأصل هجرت بلادها عند انهزام سد مأرب في القرن ٤ ق.هـ (الثالث الميلادي) استوطنت بلاد الشام وشرقي الأردن وفلسطين ولبنان، اعتنقوا المسيحية المونوفيزية وعملوا في الجيش البيزنطي، كانوا في حرب دائمة مع دولة المناذرة اللخمين.

(٢) ملوك حمير: سلالة حكمت من اليمن قبل الاسلام، اسست اكبر دولة عربية حضارية، ومن اشهر ملوكهم شداد، ذو القرنين وبلقيس، بلغ عدد ملوكهم ٣٦ ملكاً.

(٣) كوهنل: هو ارنست كوهنل (Ernst Kühnel) مستشرق ألماني معاصر له كتاب الفن الاسلامي ألفه بالالمانية عام ١٩٦٣م (١٣٨٣هـ) وترجم الى الانكليزية والعربية.

(٤) المماليك: هم سلالتان: البحريون والبرجيون، عبيد أتراك وشراكسة ومغول جتدهم الأيوبيون في الخدمة العسكرية، تمكن بعضهم من الوصول إلى حكم مصر وفرض بعض سلاطينهم سيطرته على سورية وأجزاء من آسيا الصغرى، حاربوا المغول والصليبيين، قضى عليهم محمد علي باشا في مذبحة القلعة عام ١٢٢٦هـ، تركوا آثاراً عمرانية هامة، أشهر ملوكهم بيبرس، قلاوون، بروق، وآخرهم طومان باي الذي أعدمه السلطان سليم العثماني.

قبة كما هو الحال في المآذن، ففي استامبول قد تجد على بعض المساجد ستّ مآذن، وفي الكاظمية وعلى مرقد الكاظميين توجد أربع مآذن كبيرة بغضّ النظر عن المآذن الصغيرة فكل مآذنتين اثنتين تدل على إمام حيث مرقد الإماميين موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ومحمد بن علي الجواد عليه السلام، كما ان على مرقد أولاد مسلم بن عقيل في قضاء المسيب في العراق قبتين للدلالة على مدفن ابني مسلم بن عقيل بن أبي طالب^(١)، وأما في كربلاء فهناك قبة واحدة على مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخرى على مرقد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وتبعد إحدهما عن الأخرى بنحو ثلاثمائة وخمسين متراً.

وطراز القباب الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي على أشكال هندسية مختلفة كالتالي:

١ - القبة الكروية (مشطور الكرة).

٢ - القبة البيضاوية.

٣ - القبة المخروطية.

٤ - القبة المضلّعة.

٥ - القبة البصلية.

٦ - القبة الشلجمية.

٧ - القبة ذو القطاع المتكافئ.

(١) راجع فصل مرقد أولاد مسلم من هذا الباب.

إلى غيرها من أشكال.

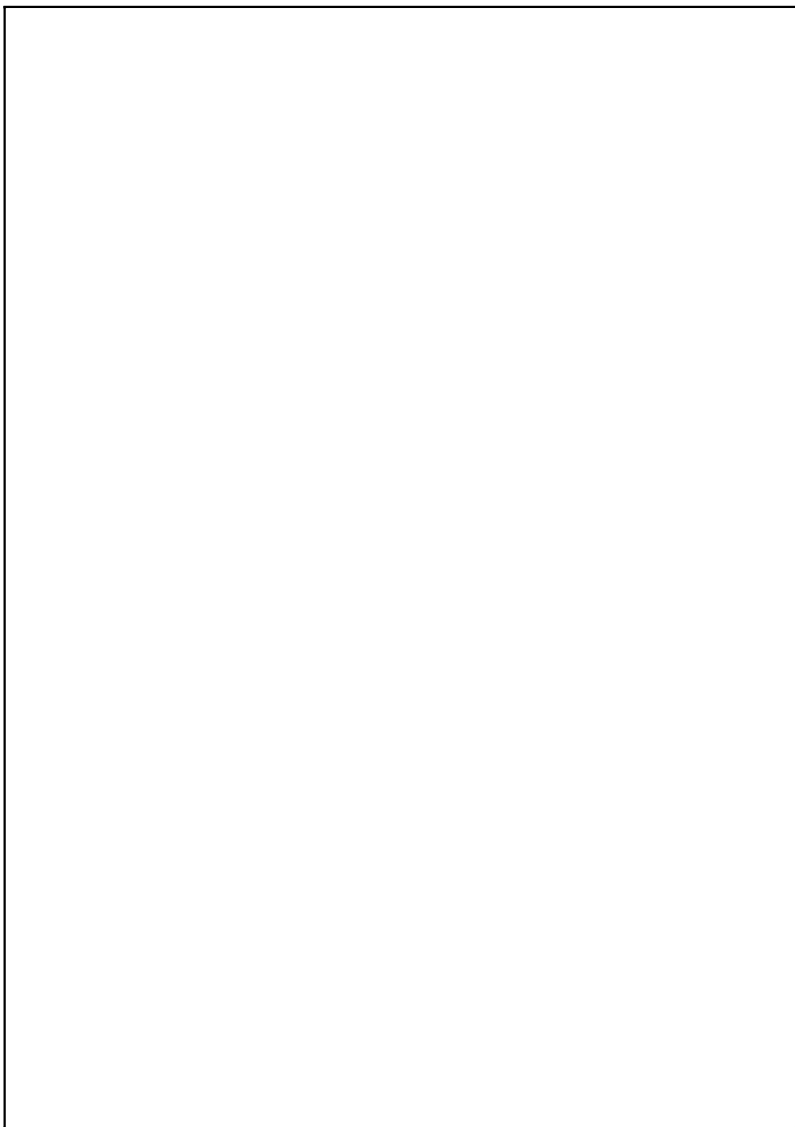
وحصل هذا التنوع والتصنيف نتيجة للتطور الحاصل في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وتنوع العمارة والهندسة فيه وتفتح ذهنية المهندسين المسلمين وتفننها نتيجة اندماجهم مع الحضارات التي سبقتهم، واختصت كل منطقة بطراز محدد للقباب حسب إنتماءاتها السياسية وموقعها الحضاري وبيئتها الجغرافية، وقد اتخذ إبراهيم الأشر على ما يبدو القبة الكروية أي مشطور الكرة وتبعه في ذلك سلاطين الفرس الذين شيدوا القباب على أضرحة أئمة أهل البيت عليهم السلام وبقيت كذلك سُنّة متبعة وطريقة للبناء إلى يومنا هذا.

ولا يخفى أن هذا النوع من الطراز المعماري هو السائد في أغلب العصور الإسلامية وفي أغلب المناطق وذلك لخلوها من التعقيدات الهندسية^(١).

(١) في كثير من القباب الإسلامية توجد علامة الهلال فوق القبة، وقد أخذ هذا الرمز من شعار الدولة العثمانية حيث كانت قد بسطت سيادتها على أكثر البلاد الإسلامية، وذكر أن العثمانيين استعاروا هذا الشعار من غيرهم ووضعوه على أعلامهم في قصة طريفة ذكرها الشيخ الولي في كتابه المساجد في الإسلام: ٢٨٠.

نماذج من القباب

- ١ - القبة الكروية
- ٢ - القبة البيضاوية
- ٣ - القبة المخروطية
- ٤ - القبة المضلّعة
- ٥ - القبة البصلية
- ٦ - القبة الشلجمية
- ٧ - القبة ذو القطاع المتكافئ
- ٨ - سائر أنواع القباب



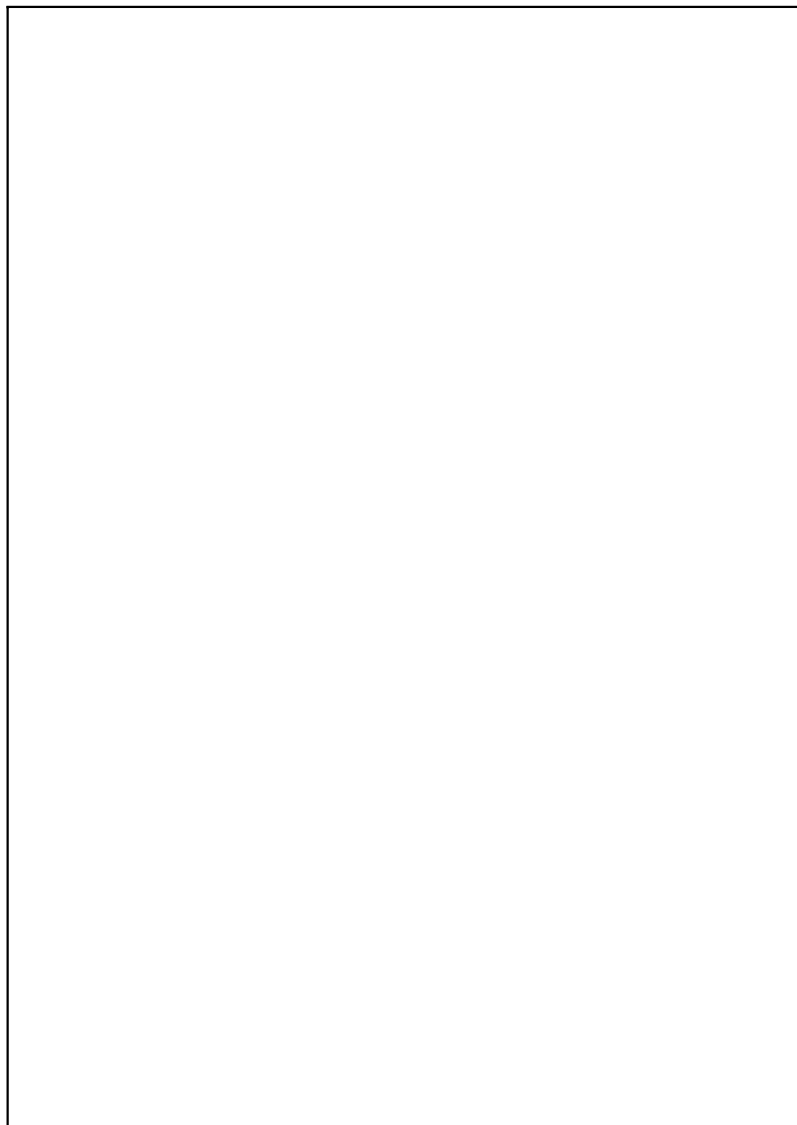
◦ ————— ÌõÆè ← ÍÆäü ← ÍöëÃ úõúíÒÃõú —————
úÆæÌàÒ ————— òîõú

Ç ————— ãàè ÍÆäü ãàè úíðìè ————— úãüÆ —————
 ÃÆæõÌ



ç ————— ãàè ÍÆäü úÆÍúløè ————— úÆæìàÒ
————— òîðú

Ñ ————— ãàè ÍÆäü úàÌ æÒÒÌ ————— úãúÓîè
————— Íî



ñ ————— ãàè ÍÆäü ØúÒøè íÍÒîè ————— äÌØÒî
————— ðàûú



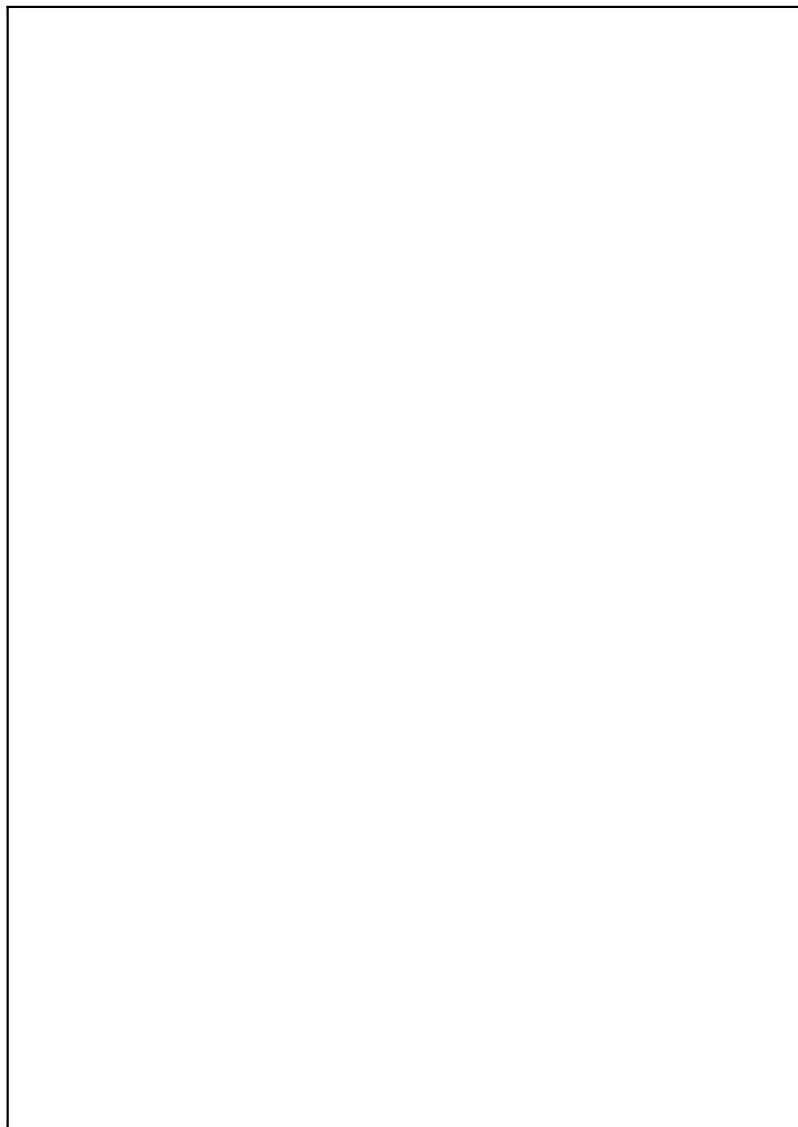
ı ————— ãàè ÍÆäü úÆæúÌ ————— ÆÌÖúÃÒìÓ
ı ————— ãàè úâè ————— ÍÆäü úàÌ æÒÒÌ —————



úũúÓîè ————— Íî
~————— ãàè ÍÆäü úÆæúĬ ãúòàúõ ————— úũúÓîè



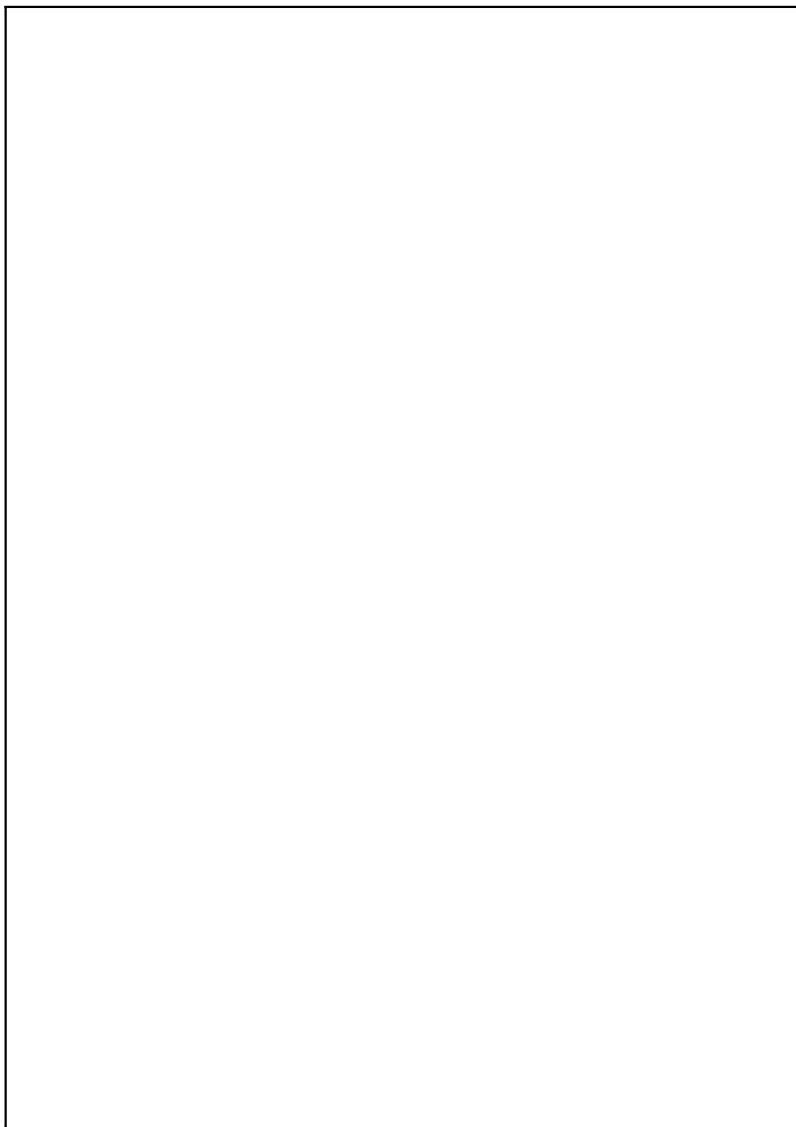
————— Íî
~ ————— ãàè Íîũ úúÆæúÌ àîãÒã ————— úũúÓîè



————— Íî
~————— ãàè ÍÆäü ÍëÍü ûëÍü úÍÓüðè ————— ûÍ üíÍüÌ



————— úÆÒüúÌ
° ————— ãàè Íĩüü íúüúÌ ————— öûÆúÌ —————



úõîúÌ

Ç ————— ãàè ÍÆäü üúlõú ————— åÒå —————



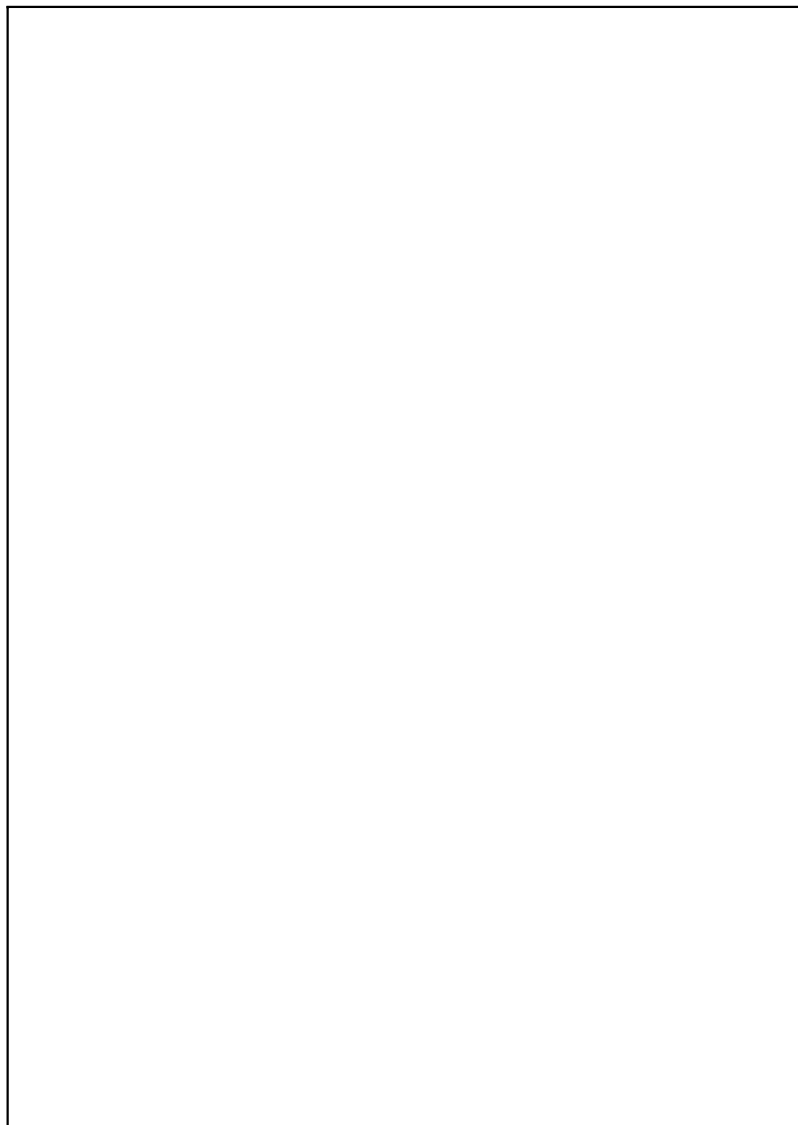
úõîúĬ
ç————— ãàè Íîãü îîî úÆÓîÒüõ ————— àÖüúü



————— úñúã
Ñ ————— ãàè Íîü úâîõÃ àü úîēÍúÌ úēÆðÌõ —————



úÍÒí ————— úñúã
ñ ————— ãàè Íîäü úâîõÃ ìäü ů úëÆôÌõ —————



ũÍúÒÌũ ————— éõîúÌ

المئذنة

هو المحل المعدّ للمؤذن لإقامة الأذان للصلوات الخمس اليومية، ولا شك أن التسمية عربية لا غبار عليها، ولكن هذا البناء الهندسي يعود جذوره إلى الحضارات التي سبقت الإسلام حيث كان المؤذن بلال الحبشي^(١) يقف على مرتفع^(٢) ليؤذن في المسلمين عند حلول أوقات الصلوات الخمس اليومية وذلك منذ السنة السابعة للهجرة.

وكان معاوية بن أبي سفيان أول من اتخذ المئذنة في الجامع الأموي وذلك بعدما تقمص الخلافة. ولا يخفى أن الإنسان كان قد بنى الأبراج العالية للإستفادة منها لأغراضه الخاصة وأطلق عليها أسماء مختلفة حسب استخداماته المتنوعة، فمنها المنار للإعلام عن حرب وغيرها،

(١) الحبشي: هو أبو عبد الله بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام توفي في دمشق عام ٢٠هـ، قيل إنه كان لا يحسن التلفظ بالشين فقلل للرسول ذلك فقال: سين بلال شين.

(٢) جاء في كتاب المساجد في الإسلام: ٢٤٦ أن بلالاً كان يرتقي أسطوانة مرتفعة فيؤذن عليها، وقيل وضع له شيء مرتفع على سطح المسجد فكان يؤذن من فوقه.

ومنها الأبراج لاستقبال وإطلاق الحمام الزاجل للخدمة البريدية،
ومنها الصوامع لضرب الناقوس، ومنها المسالح لمراقبة العدو،
ومنها الفنار لإرشاد السفن، ومنها المحجة لتحديد المناطق إلى
غيرها من استخدامات وتسميات.

أما الهيكل الهندسي الذي استخدمه المسلمون كمئذنة في
باديء الأمر فكان المنارة التي كانت تستخدم للإرشاد أو الصومعة
التي كانت تستخدم لضرب الناقوس إشعاراً بوقت العبادة.

ومن المعلوم أن معاوية حوّل كنيسة دمشق إلى مسجد جامع
وكان بها برج للناقوس كما هو الحال في كل الكنائس فاستخدمه
للأذان^(١)، وقد تأثر معاوية بالحضارة البيزنطية حيث وجد أن
لكنائسهم صومعة للناقوس فأمر بأن تبنى المآذن في مصر وغيرها،
وإلى هذا يرشدنا قول المقرئزي^(٢) حيث يقول: «لما ضاق
المسجد - بفسطاط مصر - بأهله شكا ذلك إلى مسلمة بن مخلد
وهو الأمير يومئذ - على مصر من قبل معاوية - فكتب فيه إلى
معاوية، فكتب إليه يأمره بالزيادة فيه... وأمره بابتناء منار

(١) لا يخفى أن الغرض من كلا الهيكلين المنارة والصومعة هو الإعلام
فاستخدم للإعلام عن حلول وقت العبادة كما هو الحال في الناقوس، وجاء
في كتاب الفن العربي الإسلامي: ٤٣ «أن المئذنة الشرقية وتسمى مئذنة
عيسى أو المئذنة البيضاء، والمئذنة الغربية كلاهما أنشئت على قاعدة
الصومعة القديمة».

(٢) المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر البعلبكي المصري،
صاحب العديد من المؤلفات منها: تاريخ مصر المسمى بالمواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار، عرف بالمقرئزي نسبة إلى حارة في بعلبك كانت تعرف
بحارة المقارزة توفي سنة ٨٤٥هـ.

المسجد في الفسطاط، وقيل: إن معاوية أمر ببناء الصوامع للأذان^(١) وذلك عام ٥٣هـ^(٢).

ولكن المستشرق الألماني كوهنل يرى أن المسلمين تأثروا بأبراج المراقبة في تدمير ببادية الشام حيث يذكر: «إن منارة المسجد التي أقيمت به للأذان خاصة فالمرجح أنها مأخوذة من الفنارات وأبراج الإشارة المعروفة في العصور السابقة وبخاصة القبور التدمرية ولم يكن الدافع إلى اتخاذها روعة الأبراج الكنسية في سورية»^(٣).

ويرى الولي أن الجمع بين الرأيين هو أن المسلمين والنصارى أخذوا المآذن والصوامع من فكرة أبراج المعابد في بادية الشام^(٤). ولكن التحقيق يفيدنا أن المسلمين في الشام تأثروا بالكنائس، والمسلمين في إيران وما وراء النهرين تأثروا بالمنار وهذا هو الذي جعل مآذنهم بشكل عام مبنية على شكلين هندسيين مربع ومدور.

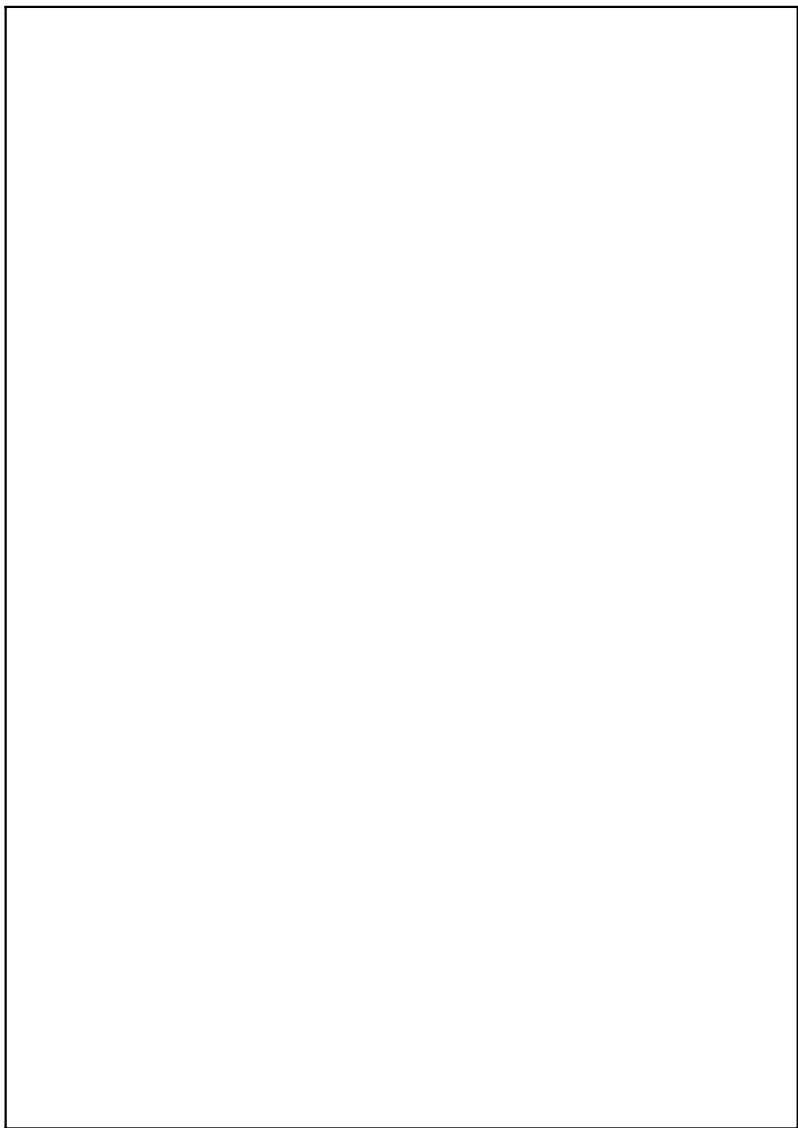
(١) المساجد في الإسلام: ٢٥٢ عن خطط المقرئزي: ٢/٢٤٧.

(٢) الموافق لعام ٦٧٣م حيث أمر بتشيد أربعة أبراج لجامع عمرو.

(٣) المساجد في الإسلام: ٢٥٣ عن الفن الإسلامي لكوهنل ترجمة أحمد موسى: ١٧.

(٤) المساجد في الإسلام: ٢٥٤.

ĩ ————— ãàè Íĩäü ûäüõ úõÒÆÃõ ————— úãúÓîè
————— Íî



ĩ ————— ãàè Íĩäü ûõòÍå úàäúÆõ ————— úãúÓîè
————— Íî

وَيُرْجَع الولي بناء المآذن على هذين الشكلين الهندسيين إلى سبب مذهبي حيث يقول: «ففي تونس والجزائر والمغرب يوجد نوعان من المآذن بعضها مربعة الشكل والبعض الآخر اسطوانية، أما المآذن المربعة فهي لا توجد إلا في مساجد المالكيين وأما الأسطوانية فهي خاصة بمساجد الحنفيين، ويعزى ذلك إلى أن الأقطار المغربية كانت تابعة للسلطة العثمانية في اسطنبول فإن العثمانيين كانوا على المذهب الحنفي وكانت مآذنتهم أسطوانية الشكل، وأما جمهور المغاربة التي كانت على المذهب المالكي فكانت مآذنتهم على الطراز الذي كان مألوفاً قبل العهد العثماني وهو الطراز المربع الشكل الذي كان سائداً في الأندلس وما يليها في بلاد أفريقيا، ومع الزمن أصبح الناس يفرقون بين مساجد الأحناف وبين مساجد الموالك عن طريق المآذن^(١).

ولكن الحقيقة أن الكثير من مآذن الأحناف كانت مربعة بينما كان الكثير من مآذن الموالك اسطوانية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إذا كان لبناء المآذن سبب مذهبي فما بال المذاهب الإسلامية الأخرى لم تتخذ طرازاً خاصاً لمآذنها، فالصحيح إذاً أن الطراز المعماري في الإسلام تأثر بحضارة المنطقة التي سكنها المسلمون أو التي دخلها الإسلام، فالعراق وما جاوره من بلاد الشرق الإسلامي تأثروا بشكل عام بالحضارة البابلية والفارسية وحضارة ما وراء النهرين، وأما أهل المغرب والشام فقد تأثروا بالحضارة البيزنطية والرومانية، فالحضارة الأولى كانت تبني أبراجها بشكل أسطواني ويغلب على بنائها

(١) راجع المساجد في الإسلام: ٢٥٤.

وهندستها المعمارية الشكل الدائري والمنحني، في حين أن الحضارة البيزنطية والرومانية كانت تبني صوامعها وأبراجها بطراز مضلع أو مربع وهي الميزة الغالبة لعامة مبانيها وهندستها للأشياء، وهذا لا يعني أن كلتا الحضارتين لم تتأثر إحداهما بالأخرى، ويؤيد ذلك ما جاء أن والي المدينة عمر بن عبد العزيز الأموي^(١) وفي عهد الوليد بن عبد الملك^(٢) عندما أتم بناء مسجد الرسول ﷺ في المدينة أرسل وراء أبان^(٣) بن عثمان وقال مفتخراً: «أين بنياننا من بنيانكم - حيث أضاف للمسجد المأذنة والمحراب والزخرفة - فأجابه على الفور: بنيانه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس»^(٤).

وحاصل الأمر أن المسلمين أخذوا فكرة المآذن من الحضارات التي سبقتهم وأضافوا إليها وطوروها حتى أصبحت فناً إسلامياً رائعاً ومتفرداً أبدى فيه المعماريون والمهندسون المسلمون آيات الإبداع والفن.

هذا ويمكن تصنيف هندسة المآذن إلى الأشكال التالية:

١ - المربعة: وقد شاعت أثناء العهد الأموي في الشام

(١) عمر بن عبد العزيز: ابن مروان بن الحكم (٦١ - ١٠١هـ) ثامن من حكم من بني أمية وذلك منذ عام ٩٩هـ.

(٢) الوليد بن عبد الملك: سادس من حكم من بني أمية (٨٦ - ٩٦هـ).

(٣) أبان بن عثمان: هو أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥هـ صحب عائشة في معركة الجمل عام (٣٦هـ) كان في طليعة الفارين، ولاه عبد الملك بن مروان على المدينة فشغل المنصب سبع سنين ثم عزل، أصيب بالصرع ومات في المدينة.

(٤) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٣٧١/١.

وتوابعها كما هو الحال في الجامع الأموي بدمشق إلى يومنا هذا.

٢ - المخروطة: وقد شاعت في العهد العباسي كما هي موجودة في مدينة سامراء^(١) وزبيدة^(٢) في بغداد.

٣ - الأسطوانية: وقد شاعت في العهد العثماني كما هو الحال في تركيا وإيران وشرق أوروبا وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.

٤ - المضلعة: التي شاعت في العهد الفاطمي كما هو الموجود منها في القاهرة إلى الآن، وربما بالامكان إضافة بعض التصاميم المعمارية المغايرة الأخرى في بناء المآذن، إلا أن جوهر التصاميم جميعها يخضع لهذه الأشكال الهندسية الأربع.

هذا وقد ذكرنا أن الطراز المعماري للمآذن الإسلامية أخذ بالتطور بسبب التعديلات والتحسينات التي أدخلها الفنانون والمعماريون المسلمون في هذا المجال حتى أصبحت الأشكال والتصاميم الهندسية للمآذن متفاوتة ومتغايرة إلى حد بعيد في الشكل والهيكل إذا أخذنا بالحسبان شكل القاعدة والهيكل والقمة

(١) تقع مدينة سامراء إلى الشمال الغربي من بغداد بحوالى (١٢٤ كلم) وتوجد في المدينة مئذنتان باسم الملوية، الكبيرة منها وبناها المتوكل على الله العباسي ما بين ٢٣٢ - ٢٣٨هـ، وقيل إنها بنيت على غرار الأبراج البابلية القديمة والملوية الثانية باسم ملوية أبي دلف.

(٢) زبيدة: هي ابنة جعفر بن المنصور العباسي تزوجها هارون الرشيد عام ١٦٥هـ، كانت أديبة فاضلة تنظم الشعر وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فلما توفيت عام ٢١٦هـ في بغداد بنى على قبرها مئذنة (قبة) مخروطية الشكل تشبه إلى حد بعيد الزقورات في حضارة أور وسط وجنوب العراق.

وما أضيف لهما من مقصورات ونقوش وزخارف هندسية غاية في الروعة والفن، وإذا ما تعمقنا في هذا لطال بنا المقام فلا بد إذاً من العروج إلى المآذن المبنية في العتبات المقدسة الخاصة بأئمة أهل البيت عليهم السلام وأخص منها بالذكر مئذنة مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام ^(١).

وقبل أن ندخل في تفاصيل مآذن أهل البيت عليهم السلام ونبدأ بوصفها لا بد من ذكر ميزة أساسية تفردت بها وهي كسوتها بالذهب، فقد أصبح معروفاً عن الشيعة إكساءهم لقباب ومآذن أئمتهم وأوليائهم بالذهب، وأما عن صفات هذه المآذن فهي كالآتي:

- ١ - شكلها الهندسي بصورة عامة أسطوانية.
- ٢ - طولها يتفاوت بين ثلاثين وأربعين متراً.
- ٣ - لها مقصورة واحدة في بداية الثلث الأخير.
- ٤ - على قممتها جوسق مضلع مستدق النهاية أشبه ما يكون بالتاج.
- ٥ - فوق الجوسق رمانة ^(٢).

بهذه الصفات المشتركة الخمس مضافاً إلى التذهيب يمكن

(١) اعتبار أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام في أهل البيت فيه مسامحة، بل إنه كما قال الرسول ﷺ بحق سلمان الفارسي: سلمان من أهل البيت، بل هو أقرب منه بكثير حيث إنه ابن إمام وأخو إمامين وعم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

(٢) تنتهي القبة بشكل هندسي شبيه بالرمانة مصنوع من المعدن المطلي بالذهب.

تعريفها بما يزيل الغموض عنها. أما شكلها الأسطواني فقد سبق وقلنا إنه مأخوذ من الحضارة الفارسية والحضارة البابلية وحضارة ما وراء النهرين التي كانت تستخدم هذا البناء الهندسي كأبراج للمنار والإرشاد والحراسة.

وأما ارتفاع مآذن العتبات المقدسة فيتراوح بين خمسة وثلاثين متراً أو أربعين متراً، ففي النجف وكربلاء يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين متراً وفي الكاظمية نحو أربعين متراً.

ولا يخفى أن هنالك مآذن أخرى تفوقها ارتفاعاً كما في مآذن اسطنبول، وفي هذا الصدد فإن مئذنة جامع الأمير عبد القادر المشيد عام ١٤١٢هـ في مدينة قسطنطينة بالجزائر قد ضربت رقماً قياسياً في الارتفاع حيث بلغ ارتفاعها مائة وسبعة أمتار^(١).

وتعد اليوم أطول مئذنة هي مئذنة مسجد الملك الحسن الثاني^(٢) في الدار البيضاء في المغرب حيث يبلغ ارتفاعها مائتي متر^(٣).

(١) المساجد في الإسلام: ٢٧٤.

(٢) الحسن الثاني: ابن محمد الخامس الحسني ملك المملكة المغربية ولد عام ١٣٤٨هـ تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام ١٣٨١هـ.

(٣) صحيفة بغداد اللندنية عدد يوم الجمعة ٣٠/١٢/١٩٩٨م.



————— ãàè Íiãü úÆæúì òõÍÒìl ————— ÆÍiãlũ

نماذج من المآون

١ - أسطوانية

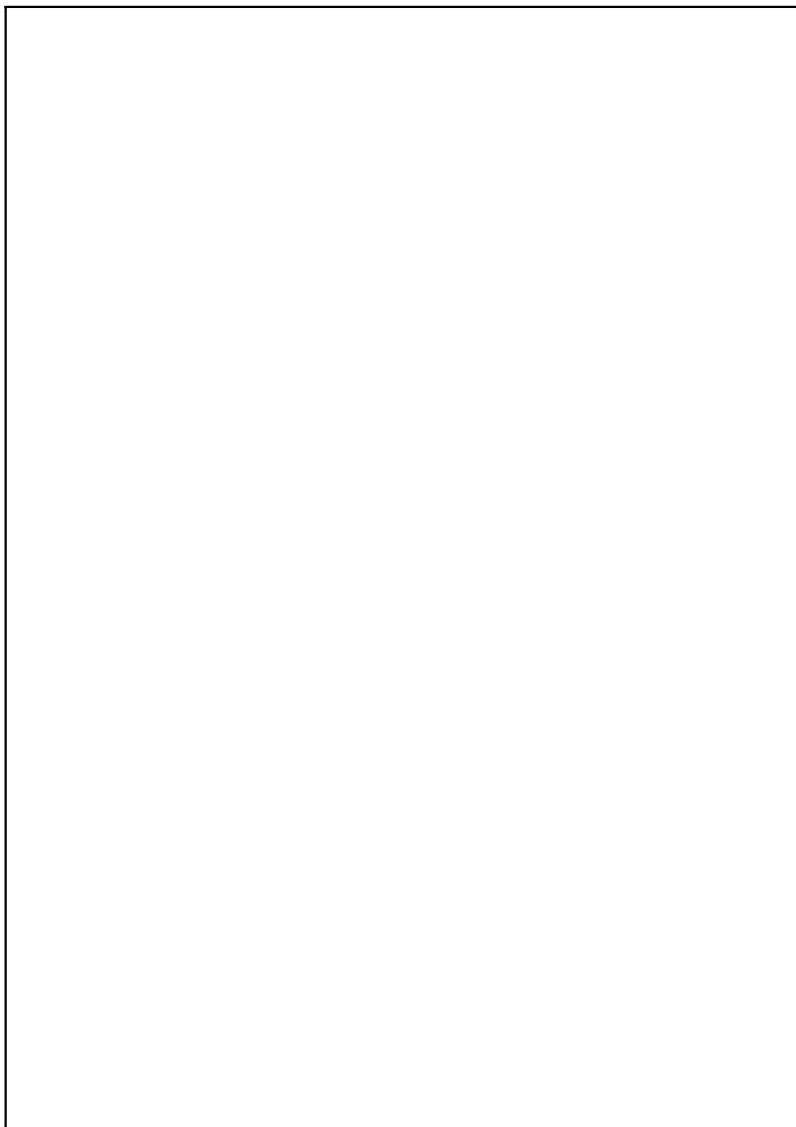
٢ - مربعة

٣ - مضلّعة

٤ - حلزونية

٥ - مخروطية

٦ - غيرها



— ûÒØàÆòúÌ
~ ——— ãàè ÍÆäü úãðîÒúÌ ——— ãðîÒúÌ ———

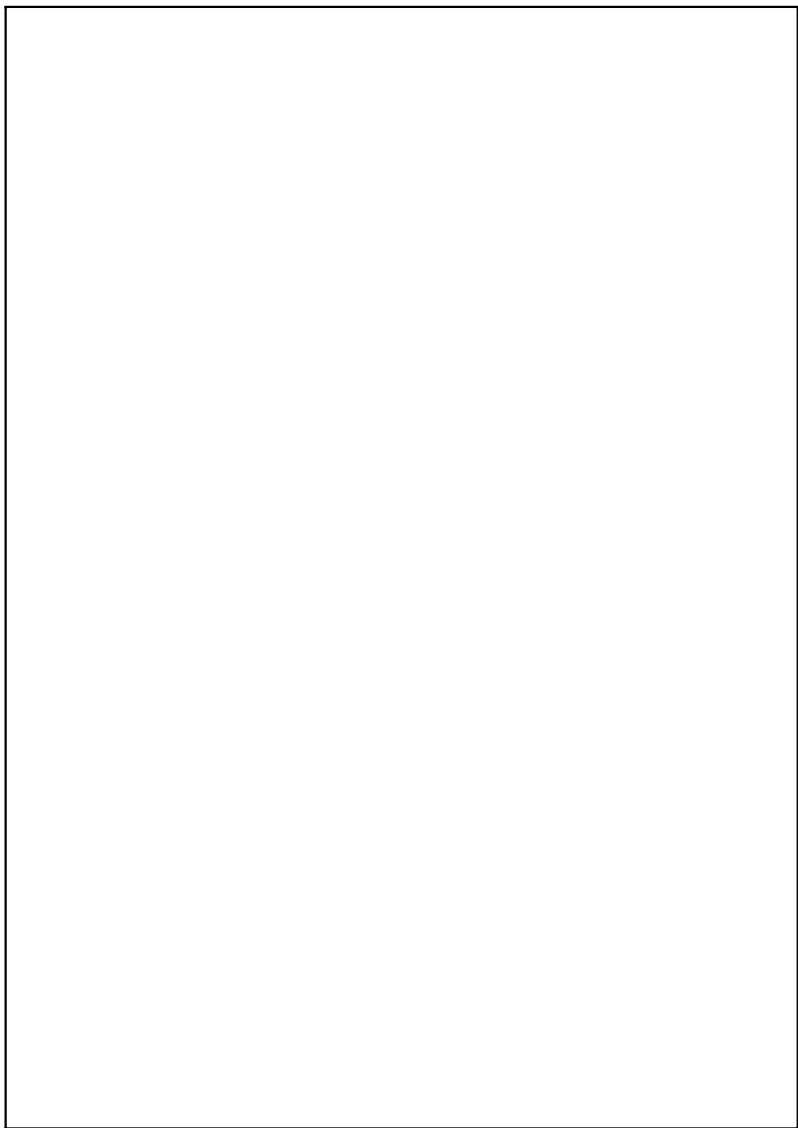


òÒÌÆ
——— ãàè ÍüîÆè åõüÒî ——— ÆÍíãÌü ———

———— ãàè ÍÆäü úÆæúÌ ÆõÍ ————— ãÒìõè



————— òîõú
Ç ————— ãàè Íîãü úûÍõîè òúä Íě ————— ûûú úÓÌü



ç ————— ãàè Íîäü úîÆÒ úûîĂÍÔú ————— úÍüðèè
————— úÆìÒüðèè

Ñ ————— ãàè ÍÆäü ãìè üðåúÌ ————— öÒúîØÍ öðÒÓ
————— úÒØàÆòúÌ



ñ ————— ãàè ÍÆäü ÔäüÌì úöÃúê ————— àÖüüü
————— úñüã



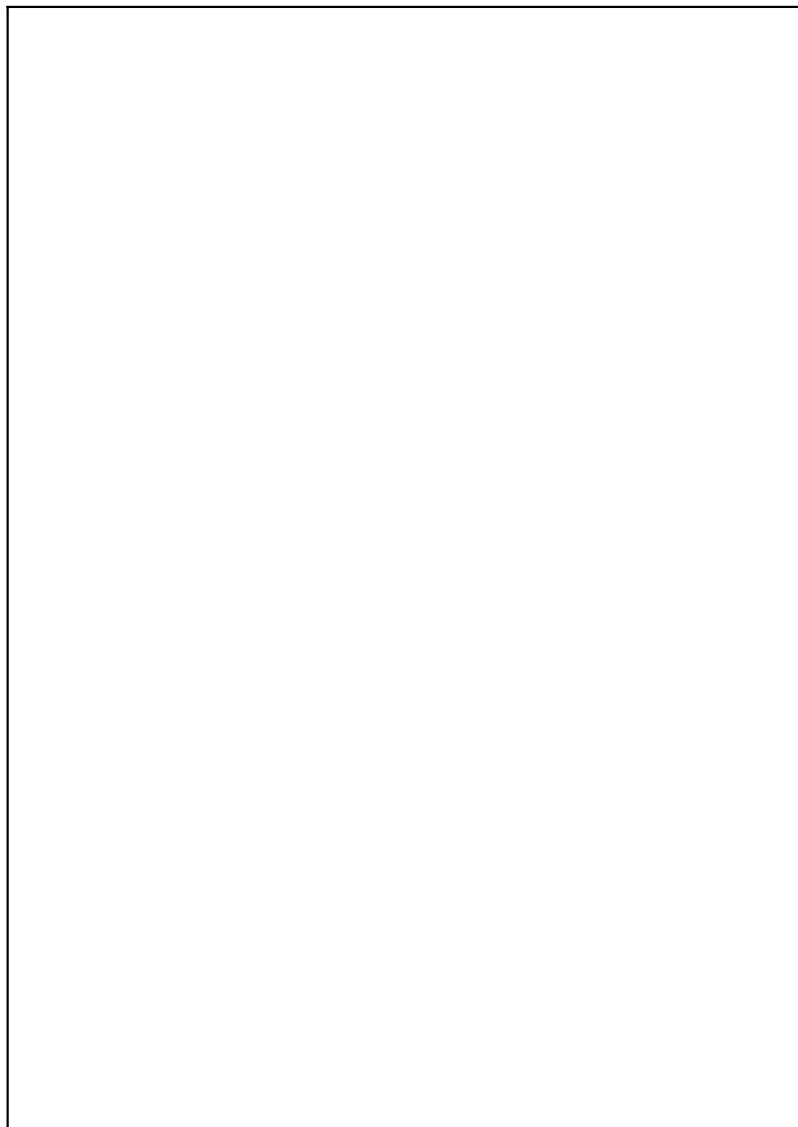
i ————— ãàè Íiãü úÆæúÌ åõî ————— üÓõ —————
úÓÌü



¿————— ãàè Íîäü õÒÌÆ úüúÒüúí————— úãúÓîè
————— Íî



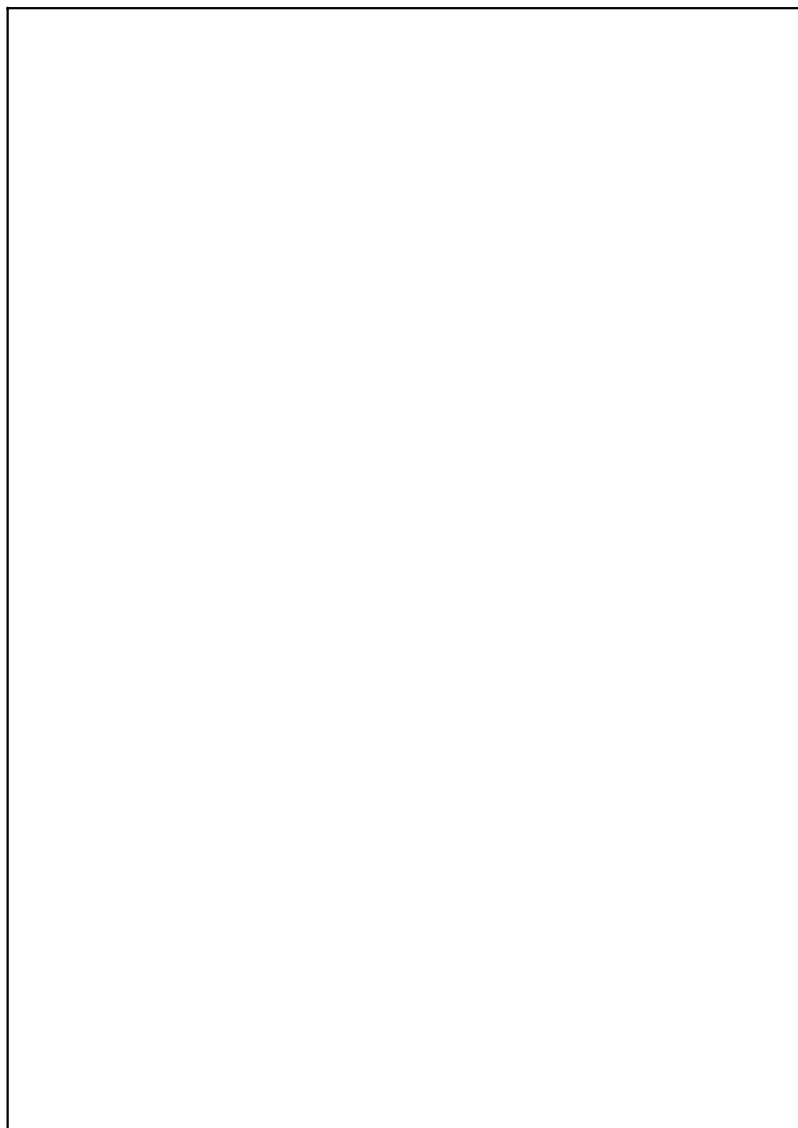
————— ãàè ÍÆäü úåõö æÃ ŭ ————— úíÃÓúÌ
————— éõîúÌ



° ————— ãàè úâîõÃ ěÍØè àì úéÍúÍ úúÃÍ Ôä ————— ãÍ
————— éõîúÌ



— ãàè Íîü üìòÍúü üüÒè ————— úû —————
úÓÏü



◦ _____

◦ Ç _____



° ξ _____
° $\tilde{N}$ _____

المقصورة

المقصورة: عبارة عن فسحة مسقفة في أعلى المئذنة مشرفة على الخارج يقف فيها المؤذن في العادة ليقوم الأذان فيسمعه أكبر عدد ممكن من الناس وهي بمثابة شرفة مستديرة تطوّق المئذنة^(١).

وفي كثير من المآذن توجد أكثر من مقصورة ولكن مآذن العتبات المقدسة للأئمة عليهم السلام تقتصر على مقصورة واحدة تبنى في بداية الثلث الأعلى من المئذنة، وللعلم فإن محيط دائرة المئذنة يبلغ في الغالب ٩,٥ متراً، وأما محيط المقصورة فيبلغ ١٠,٥٠ متراً، وهذا يعني أن المقصورة تخرج بمقدار نصف المتر من أطراف عمود المئذنة، وقد أخذت هذه المساحة من الفضاء المعلق بشكل هندسي تدريجي مما زادها جمالاً وروعة.

وتعد هذه الإضافة في مساحة المقصورة من الفوارق الأساسية بين العتبات المقدسة في العراق والتي في إيران^(٢)،

(١) وربما سماها بعضهم ببرج المئذنة، ولكن التسمية بالمقصورة هو الأنسب - المعد.

(٢) تاريخ كاظمين: ٢٤٥.

حيث أن المقصورات الموجودة في إيران لا يخرج محيط دائرتها
عن محيط أسطوانة المئذنة^(١).

(١) قارن بين مئذنة الإمام الحسين عليه السلام ومئذنة الإمام الرضا عليه السلام.

نماذج من المقصورات

١ - دائرية

٢ - مربعة

٣ - مضلعة

وكل منها:

١ - مكشوفة

٢ - مسقفة

وكل منها:

١ - مضمورة

٢ - بارزة

وكل منها:

١ - احابية

٢ - متعددة

قمم المآذن (الجوسق)^(١)

وأما قمم المآذن فهي مختلفة اختلافاً كلياً منها المخروطي كما هو الحال في كثير من دول المغرب العربي، ومنها ما هو مسطح كما في الكثير من مساجد الأندلس وأفغانستان وغيرهما، ومنها ما هو على شكل القرع^(٢) كما هو الحال في كثير من المدن اللبنانية والسورية وبعض دول الخليج، ومنها ما هو كالقبة الصغيرة المدورة، فمنها ما هو غير مصلع كما هو الحال في الهند وباكستان، ومنها ما هو مصلع كما هو الحال في كثير من بلاد ما وراء النهرين وهذا الأخير هو المتبع في العتبات المقدسة.

(١) الجوسق: جاء في المنجد: ١١٠ «الجوسق» يجمع على جواسق وجواسيق، وهو القصر، وهي فارسية، وجاء في فريهنك فارسي: ١١٥٣ «إنها معربة كوشك، وهو القصر، برج الفلك، ويجمع على جواسق وجواسيق» وجاء في مادة «كوشك» البناء المرتفع، القلعة، الحصار - المعد.

(٢) القرع: نوع من الثمار كروي ومفلطح الشكل، له خاصرة تعزل رأسه عن بطنه الأكبر حجماً من رأسه.

نماذج من رؤوس المآون

- ١ - كروية
- ٢ - كروية محززة
- ٣ - قرعية
- ٤ - مخروطية
- ٥ - مدببة
- ٦ - مسطحة
- ٧ - قطاع مكافئ
- ٨ - بصلية
- ٩ - متعددة
- ١٠ - هاونية
- ١١ - غيرها

الرمانة

وأما ما يعلو قمم مآذن وقبب العتبات المقدسة فسميت بالرمانة^(١) وهي مصنوعة من النحاس أو البرونز وغالباً ما تحولت إلى الذهب وصنعت ببراعة فنية لتضيف للمئذنة جمالاً وروعة.

ويذكر أن طول هذه الرمانة يصل إلى مترين^(٢) هذا وبعدها زودت الأضرحة المقدسة بالتيار الكهربائي وضع في أعلى الرمانة هذه ضوء ذات قوة عالية فزادها بهاءً وبهجة تشد الناظرين إليها من مسافة بعيدة^(٣).

(١) الرمانة: سميت بذلك لشبهها بالرمان الفاكهة المعروفة، وربما اطلق على ما يعلو القبب والمآذن بالحربة فيما اذا كانت تشبه حربة السلاح، وهي دون الرمح المسماة ايضاً بالطعنة والتي تأتي على شكل سهم او مثلث دقيق الرأس، هذا وقد توضع علامة الهلال على المآذن او القبب كرمز اسلامي وقد سبقت الاشارة الى ذلك.

(٢) شهر حسين: ٤٥٦، عن مدينة الحسين: ٥٨/١.

(٣) لا يخفى ان في كثير من مآذن المساجد يوضع علم في قمته يكتب عليه كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إعلاء لهذه الكلمة المباركة.

الكسوة^(١):

وأما الطلاء أو الغشاء الذهبي للقبّة والمئذنة فهو من عمل المحبين لأهل البيت عليه السلام حيث يعبرون بذلك عما يكنونه من احترام وتقديس وولاء للرسول صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام، وقد بدأ هذا في عام ١٢١٤هـ حيث أمرت زوجة السلطان فتح علي القاجاري^(٢) بتذهيب مئذنة المرقد الحسيني في كربلاء^(٣) حيث كانت المآذن قبل ذلك مكسوة بالطابوق القاشاني المزركش ولا زال الكثير من قبور أبناء الأئمة الهداة على هذا الشكل.

وفي بغداد بالذات توجد الكثير من المآذن على شكل المآذن المتبع بناؤها لأئمة أهل البيت عليهم السلام كمئذنة المدرسة المستنصرية ومرقد أبي حنيفة وجامع الخلفاء وغيرها، ويعود بناء المئذنة الحسينية المباركة إلى عام ٧٨٦هـ إذ بناها السلطان أحمد بهادر خان بن أويس الجلایري، ولا يخفى أن مرجان والي بغداد من قبل السلطان أويس الجلایري بنى منارة العبد في المرقد الحسيني عام ٨٦٧هـ بارتفاع أربعين متراً على قاعدة يبلغ محيطها عشرين متراً^(٤) وبقيت حتى عام ١٣٥٤هـ حيث أمر بهدم هذا الأثر الخالد

(١) هذا العنوان أضفناه لأنه سقط من أصل الكتاب، وتعني ما يكسو القباب والمآذن - المعد.

(٢) فتح علي: ابن حسين قلي بن محمد حسين القاجاري، ثاني سلاطين القاجارية، حكم إيران ما بين ١٢١٢ - ١٢٥٠هـ.

(٣) راجع فصل المرقد الحسيني من هذا الباب، ولا يخفى أن القبّة الحسينية قد تم تذهيبها قبل ذلك أي في عام ١٢٠٧هـ من قبل السلطان محمد خان القاجاري.

(٤) في تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٢٤١ «أن قطرها عشرون متراً».

متصرف لواء كربلاء^(١) صالح جبر^(٢).

وتحتوي هذه المآذن في جوفها سلالم حلزونية الشكل يطوف الإنسان حول نفسه ليرتقي إلى قمته، أما عدد السلالم فتقدر بنحو الثمانين حتى المقصورة^(٣)، كما ويذكر أن قطر المئذنة يصل إلى أربعة أمتار ويبقى ذلك ثابتاً حتى أسفل المقصورة^(٤) ويختزل ويصغر قطرها في الجزء الباقي ليصبح حوالى المترين.

واستخدمت هذه المآذن منذ أن بنيت وتطورت بتلاحق العصور لإذاعة الأذان، فكان المؤذن يقف في المقصورة ويرفع صوته بالأذان فيسمعه كل من في المدينة، وكان في العادة أن يطوف المؤذن حول المقصورة أثناء الأذان ليتوزع صوته إلى جميع أطراف المدينة فيسمعه كل الناس، وبفضل التقدم العلمي استخدمت مكبرات الصوت ووضعت في المقصورة باتجاهات مختلفة وذلك بعدما أخذت المدينة بالاتساع، وكانت تسمى بالمنارة أيضاً لسابق عهدها بذلك.

وقد استخدمت في الحروب كمرصد لمراقبة العدو كما استخدمت أيضاً لبث الإعلانات الخطيرة والمهمة جداً إلى جانب

(١) متصرف: إصطلاح وظيفي وإداري يطلق على منصب المحافظ اليوم وقديماً كان يطلق عليه الوالي.

(٢) صالح جبر: ولد في النجف ونشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، تولى متصرفية لواء كربلاء ما بين عام ١٣٥٤ - ١٣٥٥ هـ وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧م) تولى رئاسة الوزارة، أسس حزب الأمة الإشتراكي وذلك عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١م) عقد مع البريطانيين معاهدة بورتسموث.

(٣) راجع تفصيل ذلك في فصل المرقد الحسيني من هذا الباب.

(٤) تاريخ كاظمين: ٢٤٤.

الإعلان عن وفاة ورحيل الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية واستخدمت أيضاً للابتهالات الدينية وإقامة الدعاء وإبلاغ الناس عن حلول شهر رمضان وشوال وما إلى ذلك.

وللماذن إضافة إلى ما تقدم ذكره وظيفة أخرى وهي تحديد جهة القبلة فقد بنيت المآذن مثلاً في المرقد الحسيني والعباسي عليه السلام بدقة هندسية رائعة إذ بنيت المئذنتان على جانبي القبة قليلاً إلى الأمام لتشكل القبة والمئذنتان مثلاً رأسه إلى الخلف وضلعه الكبير - المسافة بين المئذنتين - بموازية القبلة، وكل شخص في المدينة إذا أراد معرفة القبلة فما عليه إلا أن يسلك أحد أمرين: الأول إذا كان واقفاً على أحد الجانبين من الحرم فعليه إذاً أن يشكّل مع المئذنتين خطاً مستقيماً^(١)، والثاني إذا كان موقعه أمام أو خلف الحرم فعليه أن يواسط في نظره أعلى القبة ويجعلها في منتصف المسافة بين المئذنتين ليشكل هو وأعلى القبة والنقطة المنصفة للمسافة بين المئذنتين خطاً مستقيماً باتجاه القبلة، كل ذلك في معايير هندسية وفنية غاية في الدقة والكمال.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن أقدم مئذنة بقيت حتى هذا اليوم هي المئذنة القيروانية^(٢) حيث يعود تاريخ بنائها إلى عام ٢٤٨هـ على أكثر التقديرات^(٣).

(١) الخط المستقيم لا يتشكل إلا بثلاث نقاط.

(٢) هذه المئذنة قائمة على المسجد الذي بناه عقبة بن نافع في مدينة القيروان بتونس عندما فتحت المدينة عام ٥٧هـ وبنى المئذنة القائمة إلى يومنا هذا زيادة الله بن الأغلب.

(٣) المساجد في الإسلام: ٢٦١.

ومما تقدم فلا نتردد بالقول بأن المسلمين أخذوا الفكرة الهندسية للقبب والمآذن والأروقة من الحضارات التي سبقتهم واستخدموها في أغراضهم الدينية، كما تحول عدد من الكنائس بعد الفتح الإسلامي إلى مساجد فحولوا أبراج الناقوس إلى مآذن ولكن المسلمين، أبدعوا في بناء القبب والمآذن وطوروها بحيث أصبحت من معالمهم المميزة.

ومن الجدير ذكره أن بناء المآذن (الأبراج) إلى جانب القبب فكرة هندسية ابتكرها المسلمون في بناء مراكزهم الدينية وبالأخص في تشييد مراقد عظمائهم وقادتهم الروحيين، حيث لم يعهد أن بُني هذا الشكل في الحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية، وبما أن الحضارات تقتبس بعضها عن بعضها الآخر فقد استخدم هذا الطراز الاسلامي المميز في العمارة غير الاسلامية في شتى انحاء العالم وقد اخترنا من بين تلك العينات التالية :

كنيسة شارل:

لقد قام المهندس جوهان^(١) بنقل هذا الطراز المعماري إلى الساحة الأوروبية وذلك عندما أعلن الامبراطور كارل

(١) جوهان برنارد بن فيشر فون إيرلاخ (Johann Bernhard Fischer Von Erlach) المولود عام ١٠٦٦هـ (١٦٥٦م)، مهندس معماري شهير، صاحب التصاميم المعروفة في فيينا والتي لا زالت قائمة إلى يومنا هذا وتعد آية في البراعة وأثراً حضارياً بارزاً، ويبدو من ترجمته انه درس عن الحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الشرقية فكوّن لنفسه تصاميم مركبة بارعة، توفي عام ١١٣٥هـ (١٧٢٣م) هذا وقد تعاون على القاعدة النظرية لبناء هذه الكنيسة كل من عالم الآثار هيريوس (Heraeus) والفيلسوف ليبنيز (Leibniz).

السادس^(١) عام ١١٢٦هـ (١٧١٤م) عن مسابقة لتصميم كنيسة القديس شارل^(٢) في فيينا وفاءً لنذر قطعه على نفسه فيما إذا انحسر مرض الطاعون^(٣) عن بلاده وذلك عام ١١٢٥هـ (١٧١٣م)، ويذكر المؤرخون بأن جوهان فاز بتصميمه هذا على سائر منافسيه حيث كان تصميمه الهندسي فريداً من نوعه استمدته من مصادر مختلفة وكان يتسم بدقة الزخرفة، وما يهمننا من ذلك أنه صمم بناء الكنيسة بشكل عام على الطراز الإسلامي لمراقد أئمة المسلمين، فمن الداخل يحيط بالبهو أروقة، أما من الخارج فقد توسطت القبة الضخمة البيضاوية الشكل برجين شامخين كثيرا الشبه بالمآذن الإسلامية، وقد أضاف المؤرخون بأنه أخذ الفكرة من الشرق الإسلامي، وقد بدأ بإنجاز مشروعه هذا عام ١١٢٨هـ (١٧١٦م) إلا أن الأجل حال دون إكماله حيث توفي عام ١١٣٥هـ (١٧٢٣م) فتعهد ابنه جوزيف^(٤) بإكماله فأنتهى من البناء عام ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) وقيل إن بناء الكنيسة استغرق ٢٥ عاماً.

-
- (١) كارل السادس (Karl 6): ولد عام ١٠٩٦هـ (١٦٨٥م) تولى الحكم عام ١١٢٣هـ (١٧١١م) ملك المجر وصقلية، ترك لابنته ماري تيريز عرش النمسا، توفي عام ١١٥٣هـ (١٧٤٠م).
- (٢) شارل: هو شارلز بورميو (Charles Borromeo) المولود عام ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) كان القديس شارل رئيساً لأساقفة ميلانو - إيطاليا سابقاً - توفي عام ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) عرف بعد نذر كارل السادس بقديس شفيع الطاعون، وتسمى الكنيسة أيضاً كنيسة (كارلس كيرخيه).
- (٣) الطاعون: ذكر المؤرخون بأن طاعون عام ١١٢٥هـ (١٧١٣م) يعد الطاعون السابع عشر الذي اجتاحت بلاد النمسا وكان ذلك في عهد كارل السادس ملك النمسا.
- (٤) جوزيف إيمانويل (Josef Emanuel): ابن جوهان إيرلاخ النمساوي، أخذ الهندسة المعمارية والبناء من أبيه وطوره واشتهر بعده.

وتعد الواجهة الأمامية للكنيسة تركيبة فريدة من نوعها في العالم الغربي، غربية البناء شرقية التصميم استمدت فكرة الأبراج من المآذن في الشرق كما صرح بذلك كل من كتب عنها من الغربيين، وعلى كل فإنها تعد من الطراز الإسلامي المستخدم في الغرب^(١).

الفسطاط الملكي:

ولنتقل إلى عينة أخرى في الغرب حيث استخدم فيها القبة مع المئذنتين في تصميم قصر الفسطاط^(٢) الواقع في مدينة

(١) لقد أمدتنا بهذه المعلومات السفارة النمساوية في بريطانيا حيث وفرت لنا بعض الصور والمقالات المختلفة عن الكنيسة.

(٢) الفسطاط الملكي: (Royal Pavilion) هو منتجع أمير ولز (جورج أغسطس) آنذاك إشتري أرضها فيما بعد أي عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م) من الملكة فكتوريا.

برايتون^(١) البريطانية والذي بناه في بادئ الأمر المهندس هنري هولند^(٢) بأمر الملك جورج الرابع^(٣) قبل أن يصبح ولياً للعهد وذلك عام ١٢٠١هـ (١٧٨٦م) حيث طلب من مهندسه أن يصمم له منتجعاً صغيراً يجمع بين القديم والحديث، تعلوه قبة مركزية دائرية محاطة بأعمدة من الطراز اليوناني فانتهى من بنائه عام ١٢٠٢هـ (١٧٨٧م).

ولما كان عام ١٢٣١هـ (١٨١٥م) كلف الملك جورج مهندساً آخر هو جون ناش^(٤) بإعادة بناء الفسطاط ليحمل شكلاً شرقياً هندياً - إسلامياً - فقام جون ناش بوضع تصميم للمظهر الخارجي للبناء مستلهماً ذلك من تصاميم هامفري ريتون^(٥)، ومن

(١) برايتون: (Brighton) مصيف سياحي يقع على مضيق بحر المانش على بعد ٩٤ كيلو متراً جنوب لندن، تابعة لمقاطعة سُسْكَسْ (Sussex).

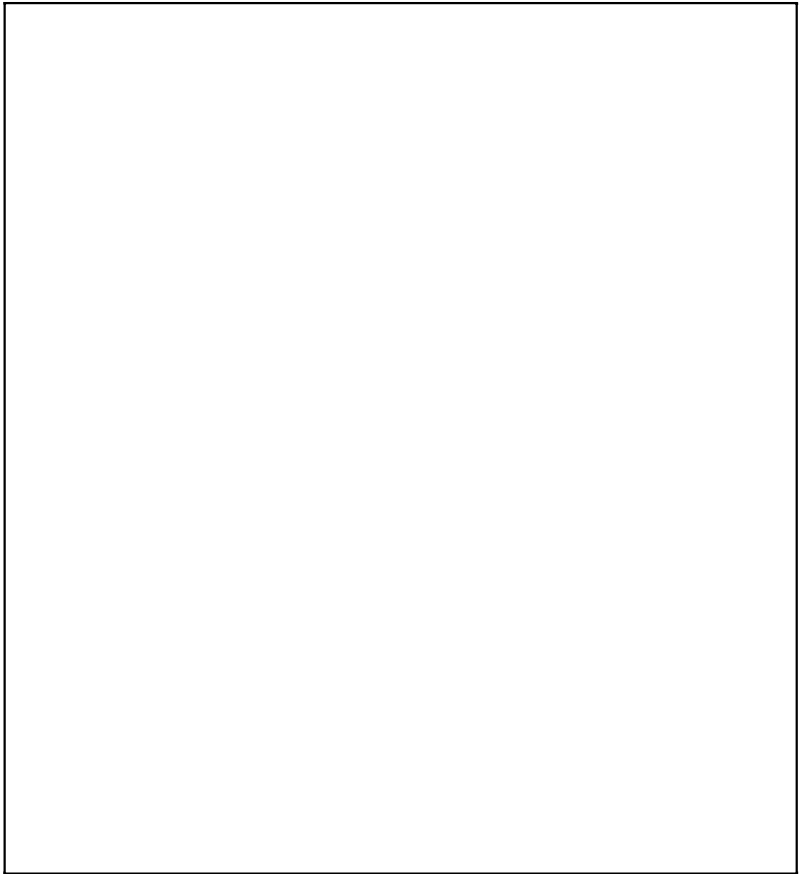
(٢) هنري هولند: (Henry Holland) ولد عام ١١٥٨هـ (١٧٤٥م) مهندس معماري إختص بالبلاط الملكي.

(٣) جورج (الرابع): أغسطس بن جورج (الثالث) وليم فردرك ولد عام ١١٧٦هـ (١٧٦٢م) زار برايتون عام ١١٩٨هـ (١٧٨٣م) للنقاهاة والإستجمام عندما كان أميراً لولز (Wales) وأقام عند عمه كروف هاوس فأعجبته الإقامة بها، تولى ولاية العهد عام ١٢٢٦هـ (١٨١١م) وحكم بعد أن أقعد المرض والده عام ١٢٣٦هـ (١٨٢٠م) وتوفي عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) فخلفه وليم الرابع.

(٤) جون ناش: (John Nash) ولد عام ١١٦٦هـ (١٧٥٢م) مهندس إنكليزي إشتهر من بين أقرانه بالهندسة المعمارية، من تصاميمه مبنى (كارلتون هاوس) في لندن والذي دمر عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) توفي عام ١٢٥١هـ (١٨٣٥م).

(٥) هامفري ريتون: (Humphry Repton) ولد عام ١١٦٦هـ (١٧٥٢م) مصمم إنكليزي مشهور توفي عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠م).

التصاميم الواردة في كتاب «مشهد شرقي»^(١) فاستغرق البناء سبعة أعوام وانتهى منه عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ م).



(١) مشهد شرقي (Oriental Scenery): عنوان أربعة كتب في الهندسة المعمارية وضعها وليام وتوماس دانيال. (William and Thomas Daniel).

برج استرنج ويز:

كل من يتجه نحو قلب مدينة مانجستر^(١) تقع عيناه على برج شامخ يتصوره لأول وهلة أنه مئذنة مسجد إسلامي، ولكن عندما يصل إلى شارع بري نيو رود^(٢) يُفاجأ بأنه برج لسجن استرنج ويز^(٣) والذي بني من الطابوق الأحمر ويرتفع بحوالي خمسة وعشرين متراً، شكله أسطواني مضلع تطل منه مقصورة مكشوفة في بداية الثلث الأخير منه، أنشئ للمراقبة، ويكتب عن تاريخه بأن المجلس النيابي البريطاني أعلن في عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) أن مدينة مانجستر مدينة قضاء، واتخذ على أثرها عدة إجراءات منها إنشاء محكمة ومباني لسكن القضاة إلى جانب إنشاء سجن، وقد تم بالفعل شراء مبني (سترنج ويز) مع أرض مجاورة بلغت مساحتها ثمان هكتارات^(٤) لبناء السجن، ولغرض الحصول على أفضل تصميم نظمت مسابقة فاز بها ألفرد وتر هاوس^(٥) الذي تمكن من

-
- (١) مانجستر (Manchester): ثالث مدينة بريطانية، تقع في وسط بريطانيا، تبعد عن العاصمة لندن شمالاً نحو ٣١٩ كيلومتراً (١٨٩ ميل).
 - (٢) شارع بري نيو رود: (Bury New Road).
 - (٣) استرنج ويز: (Strange ways).
 - (٤) الهكتار: عشرة آلاف كيلومتراً مربع.
 - (٥) ألفرد وتر هاوس: (Alfred Water house) ولد عام ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) في ليفربول (Liverpool) تتلمذ على رچرد لين (Richard Lane) في مانجستر، مهندس معماري انتهج الطراز الذي كان سائداً في القرون الوسطى والطراز الفكتوري، يعد تصميمه لمحكمة مانجستر أول عمل اشتهر به، كرس أكثر أعماله في تصميم المراكز الثقافية كالجوامع والمدارس وذلك في كمبردج وأكسفورد، كما صمم عدداً من الكنائس في لندن، استخدم في أكثر تصاميمه الآجر الأحمر الغامق (المحروق) والحديد المزخرف، توفي عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) في يتيندون (Yattendon) البريطانية.

أن يجمع في تخطيطه بين الميزة الفنية والحاجة إلى إيداع السجناء .

وانتهى وتر هاوس من بناء السجن عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م) وقد جمع في تصميمه بين النمط الإنكليزي المبكر ونمط أوروبا الغربية في البناء ما بين القرن السادس والعاشر الهجري (١٢ و١٦م) ولكنه استأثر في بناء البرج بأوروبا الشرقية بل الشرق أيضاً وفي صفر عام ١٢٨١هـ (تموز ١٨٦٤م) فتحت المحكمة أبوابها .

وقد أصيب مبنى المحكمة والسجن في الغارة الجوية عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) أثناء الحرب العالمية الثانية^(١) إلا أن البرج ظل قائماً إلى يومنا هذا ليمثل الطراز الشرقي في قلب المملكة المتحدة .

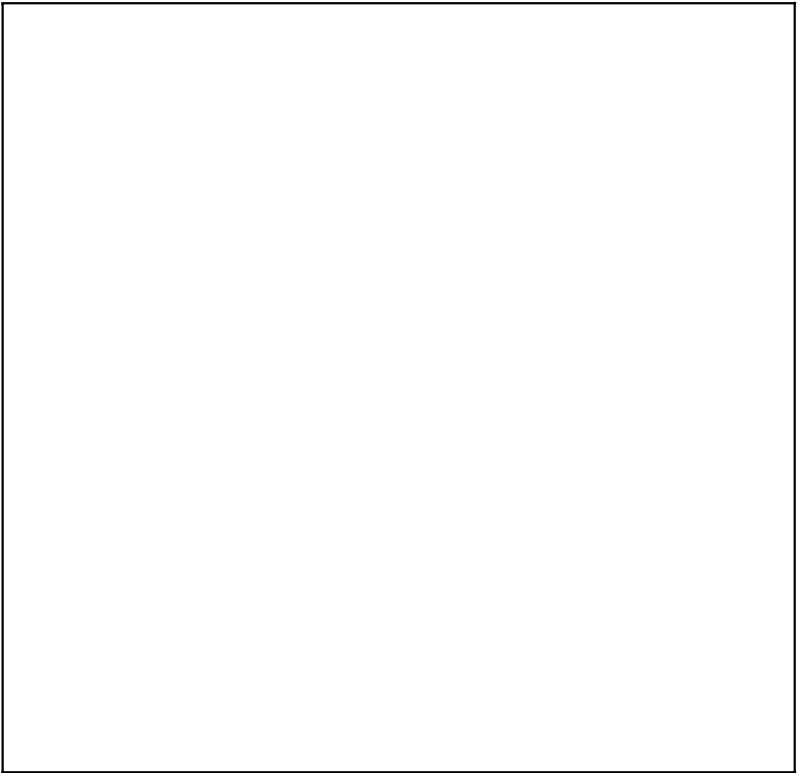
(١) الحرب العالمية الثانية: بدأت باحتلال هتلر لتشكوسلوفاكيا في ١/٢٣/١٣٥٨هـ (١٩٣٩م/٣/١٥) فأعلنت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا في ١٨/٧/١٣٥٨هـ (١٩٣٩م/٩/٣)، وانتهت باستسلام اليابان في ٢٤/٩/١٣٦٤هـ (١٩٤٥م/٩/٢) .

مشفى سانت جود:

يفاجئ الزائر لمدينة ممفس^(١) الأمريكية عندما تبهر عينيه قبة الصخرة، ويتخيل للوهلة الأولى بأنه في بيت المقدس بفلسطين، حيث يخيم على جزء من مبنى مشفى سانت جود^(٢) قبة مثيلة لتلك، وعندما يبحث عن سر ذلك يجد أن شاباً لبناني الأصل يدعى داني توماس^(٣) قرر أن يفي بعهد قطعه على نفسه عندما زار كنيسة جود ثاديوس^(٤) أن يبني مشفى لأمراض سرطان الطفل، ويخلد تاريخه بذلك، ففي عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م)، بدأ توماس بالفكرة وواصل نضاله حتى تحققت أمنيته عام ١٣٨٢هـ

-
- (١) ممفس: (Memphis) مدينة معروفة تقع على نهر مسيسيبي (Mississippi) الشهيرة، وهي عاصمة ولاية تنسي (Tennessee) الواقعة في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية والمطلّة شرقاً على المحيط الأطلسي.
- (٢) مشفى سانت جود: يعتبر الآن من المراكز العالمية الأولى في دراسة وعلاج أمراض الأطفال الخطيرة. عالجت حتى الآن (١٤١٨هـ) أكثر من أربعة عشر ألف طفل من أنحاء العالم مجاناً حيث تغطي (Alsac) كافة المصروفات الزائدة عن طاقة التأمين الصحي لكل المصروفات عند عدم وجود تأمين. وألساك: هيئة أمريكية لبنانية سورية خيرية مشتركة.
- (٣) داني توماس: لبناني مسيحي ترك مسقط رأسه ليستوطن الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته بالعمل في مجال التسلية ثم تمكن من تطوير نفسه بفضل إيمانه بالله، وقد طلب منه جلّ وعلا أن يوفقه لهذا العمل، وبالفعل فقد تحقق حلمه. توفي في ٢١/٧/١٤١١هـ (٦/٢/١٩٩١م) بعد يومين من المشاركة في الذكرى السنوية التاسعة والعشرين لبناء المشفى، فدفن في أرض المشفى.
- (٤) جود ثاديوس: قديسة (St. Jude Thaddeus) بنيت باسمها كنيسة في ديترويت (Detroit).

(١٩٦٢م) عندما فتح المشفى أبوابه لاستقبال الأطفال المصابين
بالسرطان.



الفهرس

٥	مقدمة الناشر
٩	مقدمة المعد
٢١	تمهيد
٢٥	المرقد والمقام
٢٧	المراقد
٣١	بناء المراقد وقديستها
٣٥	دور المراقد في نهضة الشعوب
٣٧	الدور السياسي للمراقد
٥٩	دور المراقد المقدسة في ترسيخ العلاقات بين الشعوب
٦٣	الدور الثقافي للمراقد
٧١	الدور الديني للمراقد
٧٧	الدور الاقتصادي للمراقد
٩١	الدور السياحي للمراقد
٩٥	الدور الفني للمراقد
٩٩	دور المراقد في العمران والبناء

١٠٥	 الزخرفة في العمارة الإسلامية
١١٣	 مفردات من العمارة الإسلامية
١١٧	 الصحن
١٢١	 القبّة
١٣١	 نماذج من القباب
١٤٩	 المئذنة
١٦١	 نماذج من المآذن
١٧٧	 المقصورة
١٧٩	 نماذج من المقصورات
١٨٥	 قمم المآذن (الجوسق)
١٨٧	 نماذج من رؤوس المآذن
١٩١	 الرمانة

۲۰۹

